ايمان

قصة حقيقة

الكتاب : ايمان قصة حقيقة

الكاتب : منار حجازي

تصميم الغلاف : ريهام محمود

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

مراجعة لغوية : سامح سرور

الطبعة : الأولى٢٠٢٠

رقم الإيداع:2019/28583

الترقيم الدولي :978-977-6783-23-2

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ايمان

قصة حقيقة

رواية

تأليف

منار حجازي

السّعيد
للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى ايمان الصابرة المؤمنة والتي ائتمنتني علي سرها
أهديها قصتها وحلمها

1

وقفت في حجرة وكيل النيابة تنظر في ذهول إلى ما حولها غير مصدقة ما آل إليه حالها ، تنتابها أحيانا نوبات صراخ هستيري وتسكت منها في لحظة ، مربتة علي صدر صغيرتها تخشي عليها من سماع صرختها ، فتئن في صمت أنات الأخرس ، وتارة أخري تغمض عينيها بشدة كأنها لا تريد أن تستيقظ وتكمل في حلمها حتي ينتهي بسلام ، وفِي لحظة تنظر في ذهول إلي الحجرة الواقفة بها تتفحص أركانها ومن يقف حولها لتتذكر أنها حقيقة وليست حلما فتبدأ في الصراخ مرة أخري

ابنتها الطفلة التي لا يتعدى عمرها الثلاثة أشهر بين يديها نائمة كملاك صغير ينام بين السحاب ، لا يعي ما دار و يدور من حوله .

حاول العسكري أن يأخذها منها لوضع الأساور الحديدية في معصميها ، لكنه لم يستطع إفلات الطفلة من بين يديها فانتظر بجانبها حتي دخل المحقق و مساعده و أحد الضباط من الذين ألقوا القبض عليها

جلس علي مقعده الوثير وأخرج علبة سجائره ووضعها أمامه ونظر إلي الكاتب علي يمينه

- افتح يا ابني المحضر و اكتب الديباجة المعتادة بتاريخ النهاردة

ثم نظر إليها و لما رآها تحمل طفلتها و أنه يبدو عليها أنها ليست من معتادي الإجرام أشفق عليها و أمرها أن تجلس، بل أمر لها بزجاجة ماء و كوب من الشاي

- اسمك و سنك و عنوانك ؟

سألها و هو يشعل سيجارته و ينفث دخانها في الهواء أمامه ،

- لم ترد

اعتدل في جلسته و أمر بكوب من القهوة كبير له ، سكت قليلا مفتعلا أنه ينظر في الأوراق التي أمامه معطيها فرصة للرد ولكن لم يجد أي رد ،فنظر إليها فجأة

- طيب انتي قتلتي جوزك ليه؟ إيه الأسباب اللي دفعتك لكده، انتى شكلك ست متعلمة و بنت ناس، عملك إيه علشان تقتليه بالطريقة البشعة دي

- لا ترد

أطفأ السيجارة بعصبية وقرب صدره من مكتبة ليقترب من وجهها أكثر

- السكوت مش في مصلحتك إنتي كل الأدلة ضدك ، الجيران سمعوا صوتكم و انتوا بتتخانقوا و لما كسروا باب الشقة بعد ما سمعوا صريخك اللي هز الشارع كله، لقوكي ماسكة السكينة و قاعدة علي الأرض جنب الجثة

عيناها مثبتة علي طفلتها التي بين يديها وحالة الذهول مسيطرة عليها و كأنها لا تسمع و لا تعي أين هي

- انتى متهمة بقتل جوزك و كل الأدلة ضدك لازم تتكلمي و احنا نحاول نساعدك ، لو معكيش محامي احنا نجبلك

نظرت إلى الأرض و الدموع تملأ عينيها ولم تجب قال المحقق في نبرة أقل وطأة

- طيب انتي فين أهلك ؟ في حد تتصلي بيه ؟ يا بنتي اتكلمي مش هينفع اللي انتي بتعمليه ده

فقط تنظر إلي الأرض تارة و تارة تثبت نظرها علي ابنتها و دموعها تنساب ببطء علي خديها لتبلل ملابسها ووجه الطفلة معاً

قـال المحقـق بعـد أن تنهـد تنهيـدة عميقـة تنـم عـن يأسـه مـن أن تتكلـم

- أمرنـا نحـن هشـام عبـد السـميع سـلطان وكيـل النيابـة بحبـس المتهمـة .....

ثم تذكر أنه لا يعرف اسمها

نظر إلي مساعده في حدة

- لقيتـوا بطاقتهـا أو حـد مـن الجـيران الـلي كـسروا البـاب قـال أسـماءهم إيـه ؟

- لا يـا فنـدم معثرنـاش عـلي أي حاجـة تثبـت الأسـماء ، الجـيران لسـه بناخـد أقوالهـم و بعتنـا الحـي نسـتعلم عـلي اسـم صاحـب الشـقة لأن العـمارة ملـك لورثـة كتـير و لسـه بنوصلهـم

نظر المحقق مرة أخري للسيدة الماثلة أمامه

- يـا سـت اسـمك إيـه طيـب ، أنـا مشـفق عليـكي ومـش عـاوز اطلـع منـك كل المعلومـات الـلي عاوزهـا بطريقتنـا

ثم خبط بحدة علي المكتب بكلتىّ يديه منتفضاً واقفا

- مـا تنطقـي بقـي يـا روح امـك انتـي فاكـرة نفسـك قاعـدة في الأوبـرچ، انتـي رايحـة عـلي المشـنقة عـدل ، دي جريمـة قتـل ، وأداة الجريمـة عليهـا بصماتـك و الشـهود كـسروا عليـكي البـاب و انتـي باركـه عليـه و السـكينة في إيديـك و مغـروزة في قلبـه

و عـلي الرغـم أنهـا انتفضـت لانتفاضتـه و صوتـه الأجـش الغليـظ بجوارهـا مـما أيضـا جعـل الطفلـة بـين يديهـا تسـتيقظ و تبـكي إلا أنهـا أيضـا لا تـرد

نظر المحقق إلي كاتب المحضر و قال

- سيب يا ابني مكان الإسم فاضي لحد ما نشوف

أمرنـا نحـن هشـام عبـد السـميع سـلطان بحبـس المتهمـة .....

بالحبس خمسة عشر يوما علي ذمه القضية رقم (اكتب بقي انت باقي البيان)

علي أن وجدنا معها طفلة رضيعة و عليه فقد أبلغنا مصلحة الشؤون الاجتماعية بإرسال مندوب لأخذ الطفلة ووضعها في إحدي دور الرعاية حتي انتهاء القضية

وهنا ضمت الأم ابنتها إلي صدرها بقوة ناظرة بعين زائغة إلي المحقق ناطقة لأول مرة

- اللي هيفكر ياخد بنتي مني هقتله

2

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما وقفت أمام أبونا و بجواري أبي نأخذ منه لقمة البركة بعد صلاة يوم أحد شتوي دافئ كنّا قد انتهينا من صلاتنا في كنيستنا القريبة من منزلنا و التي اعتاد أبي اصطحابي إليها كل أحد وكنا في كل مرة ننهي الصلاة ثم نذهب أمام أبونا لننال البركة و الصلاة لنا ، عندما لامس كتفي و هو يقول بِسْم الأب و الإبن و الروح القدس إله واحد آمين ، قلت له فجأة :

- ازاي يا ابونا إله واحد ؟؟، مش حضرتك قلت ٣ الأب و الإبن و الروح القدس، مش دول ٣ ،؟ و لا واحد ،؟؟

سألت بعفوية و بدون تفكير و لا أعلم لماذا سألت هذه المرة فأنا منذ نعومة أظافري أسمع هذه الصلاة

انتفض سيدنا و نظر لي بدهشة في نفس الوقت الذي زغدني أبي بشدة في كتفي كاد أن يطيح بي

- انتي عندك كام سنة دلوقت يا ايمان

- ١٢ يا ابونا

- و ازاي يا بنتي و انتي كبيرة كده تسألي سؤال زي ده ، مش انتي بتحضري الصلاة و مدارس الأحد كل أسبوع معانا و فِي مدرستك كمان مش فيه حصص للدين بتاخدوا فيها دروس ،

نظرت إلي الأرض و لَم أرد

- يا صغيرتي الله الكلمة أقنوم الابن أخذ طبيعة بشرية والكلمة صارت جسد ، اَي نزل من السماء و تجسد من الروح القدس و أتي ليخلص نفوسنا ، هذا الكلام يطول شرحه ويجب أن أجلس معاكي جلسة مطولة

ثـم نظـر في اتجـاه أبي الـذي كان يتلفـت يمينًـا و يسـارًا محـاولا أن يتجنبـه تمامـا مفتعـلاً بحثـه عـن شيء بجيبـه فهـو لم يتوقـع منـي هـذا السـؤال و لَـم أطرحـه مـن قبـل لأي أحـد في منزلنـا و لَـم يبـدُ عـليّ أي نـوع مـن التشـكيك في صميـم ديننـا ، فأنـا متدينـة بطبعـي منـذ الصغـر ، و أحب ربنـا حبـاً كبـيرا و فِي حجـرتي صـورة كبـيرة لـه في إطـار مـن النـور أنـام كل ليلـة و أنـا أنظـر إليـه حتـي أغفـو

- ابقـي جيبهـالي يـا متـي يـوم التـلات اقعـد معاهـا لوحدنـا، و ابقـي شـوفها بتقعـد مـع مـين في المدرسـة و تابـع الكتـب الـلي بتقراهـا اليومـين دول

قالهـا و هـو محـدق النظـر في عـين أبي وكأنـه يلقـي عليـه اللـوم و الغضـب فيـما سـألت

في طريقنـا للبيـت لم يحادثنـي أبي نهائيـا، و لَـم أحادثـه و اعتـبرت أن الموضـوع انتهـي بهـذا الصمـت و آثـرت السـلامة فلـم أتناقـش معـه طالمـا لم يحادثنـي فيـه هـو

و لكنـه عندمـا دخلنـا إلي البيـت دعـا إخـوتي الأولاد الثلاثـة و أمـي إلي حجـرة نومـه و قفـل البـاب و سـألني بلطـف أن أمكـث في غرفتـي حتـي ينهـي بعـض الأعـمال مـع إخـواتي و أمـي

بعد اجتماعهم المغلق خرجوا أمي و إخوتي و دعاني أبي إلي حجرته

- تعالي يا إيمان يا بنتي أنا عاوز أتكلم معاكي شوية يا حبيبتي

أبي كان مثـال الحـب و الحنيـة التـي تجـوب العـالم تبحـث عـن قلـب تسـكنه ؛ فـكان قلـب أبي ، لم أره يومـا غاضبـاً لم أسـمع يومـا صوتـه يعلـو في أشـد المواقـف ، لم أعلمـه يومـا شـتاماً شـماتاً حاقـداً ، كان و كأنـه المسـيح في رقتـه و عفـوه الدائـم و سـماحة خلقـه

و الأهـم أنـه كان يحبنـا حبـاً جـماً و لَـم يقـسُ عـلي أحـد منـا أبـدا ، بعكـس أمـي التـي كانـت دائمـاً تتخـذ صـف العسـكري المنـاوب في البيـت

الـذي يأمـر و ينهـي و يعلـو صوتـه بعصبيتهـا غـير المـبررة

لم أكـن خائفـة مـن هـذه المحادثـة ، فأنـا أعلـم أبي جيـدا و أعلـم مـدي حبـه لي و مـدي حكمتـه في مثـل هـذه الأمـور

أجلسـني بجـواره عـلي سريـره العريـض و صـورة السـيدة العـذراء بإطـار خشـبي بـه فراغـات مضـاء بلمبـات صغـيرة (صنعـه أبي بنفسـه) التـي تزيـن مدخـل الحجـرة أمامـي ،. وعـلي جانبـيّ السريـر صـور للسـيد المسـيح و صليـب خشـبي مطعـم بالعـاج صنعـه أبي أيضـا ، فقـد كان عمـل أبي الـذي ورثـه أبـاً عـن جـد هـو تجـارة الأخشـاب و منـذ قدومنـا مـن السـودان إلي القاهـرة و هـو و إخـواتي و أعمامـي يعملـون في نفـس التجـارة و إن كانـت قـد توسـعت بعـد أن فتـح إخـوتي و أولاد أعمامـي محـلات للأثـاث الكلاسـيكي و الـذي يظهـر روعـة صناعـة الأخشـاب ، و احتفـظ أبي و أعمامي بمغالـق الأخشـاب في القاهـرة و الإسـكندرية

ابتسـم لي ابتسـامة حانيـة و أمسـك بيـديّ الاثنتـين بـين يديـه و اقـترب منـي قائـلا

- سـيدنا عـاوز يقعـد معـاكي و يكلمـك بـس أنـا مـش هاعرضـك للموقف ده ، أنـا اقـدر أفهمـك و ارد عليـكي في أي سـؤال إنتـي بتفكـري فيـه أو حتـي جـه عـلي بالـك مـرة ، احنـا يـا إيمـي ياما اتعرضنـا للأسـئلة دي وطبيعـي يـا بنتـي يبقـي جـواكى لخبطـة ومتناقضـات ، احنـا مـش عايشـين لوحدنـا و جيرانـا و أصحابنـا كتـير عـلي غـير دينـا و معتقداتنـا و الـلي أكيـد سـمعتي أو شـفتي حاجـات غـير الـلي بنتعلمهـا هنـا في البيـت و فِي الكنيسـة ، فمتخافيـش الـلي إنتـي فيـه دا طبيعـي و طبعـا الشـيطان ماهيصـدق و يجيلـك بقـي و يـزود حيرتـك و احنـا مـش عاوزيـن الشـيطان يبقـي شـاطر،

ضحك أبي و طبطب علي كتفي و هو يقول

- هـا إيـه بقـي الـلي محـيرك و إيـه الي مـش عارفـاه عـن دينّـا و خـلاكي تسـألي ابونـا السـؤال دا الصبـح في الكنيسـة ؟

ترددت قليلا فأنا بداخلي أسئلة كثيرة و لا أعلم هل هذه المقدمة التي حاول فيها أبي أن يطمئنني كافية بفتح صدري له كاملا أم عليّ أن أحتفظ بما يجول في نفسي لنفسي

- أنا بس كنت دائماً لما أسمع أبونا في الكنيسة أو السير مريم في المدرسة وهما بيكلمونا

علي إن الرب واحد و إنه تجسد في صورة السيد المسيح علشان يفدينا و ينجينا من خطيئة أبونا آدم و اننا هنكون خطائين زيه و إن ربنا علشان بيحبنا فدانا بدمه و استحمل الإهانة و العذاب حتي الصلب علشان نشوف دمه و نؤمن بيه علشان يدخلنا الجنة بعد الموت ، بقول هو ليه الرب يعمل كل ده و يتجسد في رحم امرأة و يتولد ، علشان يبقي شكل البشر و هو في غني عن كل دا هو ممكن في لحظة يغفر لنا كلنا و يعرف مين فينا كويس يستحق الجنة و مين فينا وحش يستحق النار، هو مش برده ربنا يا بابا يعرف يعمل كده ؟

انتظر حتي أفرغت كل ما في جعبتي ، لم يتغير وجهه و لَم يفقد ابتسامته و لَم يترك يدي من بين يديه، فقط اعتدل في جلسته قبل أن يقول

- يا إيمان أنا و جدود جدودي ولدنا علي هذا الدين و احنا علي اقتناع بيه تماما و نشكر ربنا علي دي نعمة ، المسيح قال { أتيت لتكون لهم حياة و ليكون لهم أفضل } (يوحنا ١٠:١٠)

لان ابن الله قد جاء من السماء لكي يطلب أن يخلص ما قد هلك ، ابن الله جاء بإرادته ليخلص ما قد هلك لأنه مكنش ينفع يخلصنا وهو في السماء ايوه بمقدوره يغفر و يسامح وهو في السما لكن ارتباط ابن الله بالخلاص ارتباط وثيق لأن أجرة الخطيئة الموت ، والله له وحده عدم الموت و كان لازم يموت الإنسان اللي عمل الخطايا التي تستوجب الموت ، و بما أن الله عادل و الله لكماله الذاتي يستحيل أن

يتناقض من نفسه لأنه قال في الناموس (أجرة الخطيئة الموت) فكان إما نموت احنا شعبه المخطئ أو بديل عنا ، و علشان ربنا مش ممكن يرجع في كلامه و يسامح و يغفر وهو في السماء له قدرة علي ذلك ، ولكن هو قال أجرة الخطيئة الموت و هو لا يتناقض مع نفسه ،وبما أن الله لا يموت ، فكان لازم يتجسد في شكل إنسان لكي يموت عنا وهو يتحمل جزاء خطيئة البشر ، آثر أن يموت هو علي أن يهلك شعبه و بموته فكان لازم يصير ابن الإنسان الذي جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك لأن المسيح بتجسده دفع ثمن خلاص البشر ورضي القدوس الكامل المحب إنه يتنازل و يفتقر وهو غني لنستغني نحن بفقره ، فرضي أن يموت بدلنا ، نعم المسيح رضي أن يتجسد علشان يموت بدلنا ، نحن الخطاة ، ودا الحل الوحيد ، إما هو يموت بدالي وبدالك ، إما احنا نموت ، ف ربنا اختار التجسد في شكل إنسان لأنه يتوجب أن يموت كإنسان عنا و يحقق الفداء ، ايوه المسيح فدانا كلنا واتهان علشانا وعلشان أولادك و أولاد أولادك إلي يوم النهاية ، دي صلب عقيادتنا يا بنتي ومجرد التشكك في دا يخلي الشيطان يتمكن منك ،خلي بالك احنا مأمورين باتباع المكتوب في إنجيلنا

قاطعته بدون وعي كما قاطعت أبونا صباح الْيَوْمَ في الكنيسة

- أي إنجيل فيهم ؟

ترك أبي يدي و خفت ابتسامته و إن لم تختف و أخذ شهيقا عميقا و هو يأخذ رجله ليضعها علي السرير و يقعد القرفصاء كأنه في مهمة أصبحت ثقيلة عليه و نظر إلي عيني مباشرة وبقوة قائلا

- انتي مين يا إيمان اتكلم معاكي في القصص دي ؟

- صدقني يا بابا محدش كلمني و لا أنا عمري سألت حد و لا اتكلمت في اللي جوايا غير النهاردة

- يا بنتي اللي إنتي بتقوليه دا كتير علي سنك ، إنتي بنتي الصغيرة

و الظاهـر انـك اتدلعتـي أوي ، متفتكريـش اني مـش هـارد عـلي سـؤالك ،. هـو إنجيـل واحـد المحتـوي و إن كان أربعـة كتبـوه لكنهـم شـهود لإنجيـل واحـد و هـو الـلي بـشر بيـه الـرب تلاميـذه و قـال لهـم إنـه هيرسـل لهـم الـروح القـدس تتمثـل بداخلهـم علشـان يسـجلوا تعاليمـه و أحـداث حياتـه و انـه مـات و دفـن و قـام ، كل الأناجيـل اتفقـت عـلي الحقيقـة دي

الأربـع أناجيـل كتبهـا أربعـة رجـال مختلفـين و لكـن بوحـي مـن الـروح القـدس ، كل واحـد بـيروي مـن وجهـة نظـر مختلفـة مـا صنعـه و قالـه يسـوع الـرب مـن خـلال كرازتـه يعنـي رحلتـه و حياتـه و معجزاتـه وهـما كلهـم مـش بيناقضـوا بعـض بـل عـلي العكـس بيكملـوا بعضهـم البعـض

أنـزل أبي رجلـه مـن عـلي السريـر و نهـض ممسـكاً بيـدي حتـي وقـف ثـم مـال عـلي رأسي فقبلهـا قبلـة حانيـة و ضمنـي إلي صـدره ضمـة لـن أنسـاها مـا حييـت

- روحـي صـلي و اسـتغفري و كل مـا تجيلـك الأفـكار دي لـو يعنـي جتلـك تـاني ابقـي تعـالي اتكلمـي معايـا و نتناقـش فيهـا

منـذ هـذا اليـوم ، حاولـت جاهـدةً أن أتجنـب الحديـث في مثـل هـذه الأمـور مـرة أخـري مـع أي أحـد كان، و كنـت قـد اعتـذرت لأبونـا بشـدة بعدهـا و تباكيـت مدعيـة خـوفي مـن غضـب المسـيح عـلي و عـلي عائلتـي، و أننـي لا أعـرف لمـاذا سـألت مثـل هـذا السـؤال السـاذج .

و مـر الموقـف عـلي خـير ، و لا أعلـم حتـي وقتنـا هـذا عـلي مـاذا اتفـق أبي و إخـوتي الأولاد و أمـي بعـد إغلاقهـم البـاب عليهـم في جلسـتهم الطارئة.

و إن كنت لاحظت تغيرا في طريقة معاملتهم لي

فبعدهـا مبـاشرة وجـدت أحـد إخـوتي عـلي بـاب المدرسـة عـلي غـير العـادة يتحـدث مـع إحـدي المدرسـات و يقـول أنـه مـر بالصدفـة فوقـف ينتظـرني لنذهـب إلي البيـت سـويا و أنـه كان يسـأل عـن موعـد الإنـصراف

و مـرة أخـري كنـت عـلي ميعـاد مع إحـدي صديقـاتي في الشـارع الخلفي لمنزلنـا فوجـدت أخـي الآخـر يقـول هيـا سـوف أصطحبـك لأني ذاهـب إلي نفـس المـكان تقريبـا وهكـذا مواقـف كثـيرة حدثـت معـي أفهمتنـي أني تحـت المراقبـة بشـكل غـير مبـاشر

و فِي البيـت كانـت مهمـة أمـي و أخـواتي البنـات هـي الجلـوس معـي أطـول فـترة ممكنـة و مراقبـة مـا أقـرأ أو أشـاهد في التلفـاز و معرفـة صديقـاتي و مـن أهلهـن و أيـن يقطـن

كـما لاحظـت أن أبي يسـتضيف كل فـترة بعـض القساوسـة مـن أصدقائـه و شـماس كنيسـتنا ليقـرأ تراتيـلا قبـل أن يلقـي أحـد القساوسـة وعظـا و تفسـيرا للكتـاب أو يقـص علينـا معجـزات الـرب في الحيـاة الأرضيـة وإثباتات أنـه الـرب بـلا شـك

علمـت بعـد مـدة أن كل هـذا كان نتائـج الإجتـماع الـذي عقـده أبي مـا بـين سـيدنا في الكنيسـة و بينـه و بـين أمـي و إخـوتي في البيـت

و لكن رغم كل هذا هل تغيرت أفكاري و تساؤلاتي و حيرتي ،،،؟؟

3

كنت قد أنهيت تعليمي الإعدادي في مدرستي التي لا أعرف سواها مدرسة منذ الصف الأول حتي الصف الأخير من دراستي الثانوية ، عندما هدأت تلك العاصفة و كادت أن تختفي عندما تأكد أبي و إخوتي أنني لم أعد أفكر في مثل هذه المسألة و إنه بالتأكيد كنت صغيرة جدا في السن. أما الآن و أنا مقبلة علي بداية المرحلة الثانوية بدأت أهتم بنفسي كفتاة محبة للحياة

عرف عني أني مرحة جدا أحب الضحك و أكره الكآبة و الحزن حتي في أحلك المواقف ، ليس استهتارا مني و لكن كانت هذه طبيعة شخصيتي و طبيعة البيت الذي تربيت فيه ، كنت أعشق أفلام اسماعيل ياسين و نجيب الريحاني و مسرحيات الثلاثي المرح ، و كنا كعائلة نعشق الموسيقي و يمتلك أبي مذياعا كهربائيا كأغلب العائلات الكبري كما كان يحتفظ منذ قدومه من السودان بجرامافون باسطواناته النادرة ، كنّا في الليالي الصيفية تحضر لنا أمي العشاء في فناء حديقتنا بفيلتنا الكبري و يشغل أبي إحدي الأسطوانات و يحكي لنا عن قصة صعوده في مجال عمله و أن إخلاصه و أمانته هما سر نجاحه و نجاحنا من بعده ،. و كنّا نختتم السهرة بلعب الكارت الذي كانت أمي تعشقه و أورثتنا تلك العادة بل أصبحنا أنا و إخوتي متميزات فيه وسط أصدقائنا و أقاربنا .

كنت ذكية جدا و لا أبذل أي جهد في المذاكرة و تحصيل الدروس ، مما أتاح لي الوقت لممارسة هوايتي المفضلة و هي القراءة ، كنت أقرأ بثلاث لغات العربية و الفرنسية و الإنجليزية ، فميزة مدرستي الفرنسية أنها تخرج طلبة مستوي اللغة الفرنسية فيها يماثل اللغة الإنجليزية فكانت مميزة عن مدارس تدرس بالإنجليزية فقط

و كنت جميلة جمالا شرقيا بحجم صغير إلي حد ما

فطولي لا يتعدي ال ١٥٠ سم و إن كنت مازلت أأمل في عدة سنتيميترات إضافية قبل إتمامي الثامنة عشر السن الذي يقف عنده الطول نهائيا ، و قوامي رفيع و إن كنت أحافظ عليه بشدة فبقصر قامتي تظهر السمنة من أقل كيلوات زيادة ، بشرتي خمرية بالنسبة إلي فتاة جذورها و محل ولادتها و من أبوين سودانيين ،. شعري أسود ناعم باختلاف المتعارف عليه بالنسبة لجيناتي، عيون واسعة سوداء تميز وجهي بشدة و أنفي صغير عريض يعلو شفاه صغيرة و لكنها مكتنزة

في المجمل كنت فتاة أكثر من عادية أتمتع بسحر خاص ما بين الشخصية المرحة و الذكاء الفطري و الجمال الهادئ

خفت عني المراقبة رويدا رويدا

هذا ما اعتقدوا هم و خصوصا أنهم و بعد مراقبة ثلاث سنوات لم يجدوا دليلا واحدا علي أن هناك خللا ما في عقيدتي المسيحية و أنني علي عهدي الديني بصلاتي و خلوتي و خدمتي في الكنيسة و صيامي المنضبط و أفراحي بالأعياد ، بل كنت أتمادى في إظهار كل هذا حتي أطمئنهم أني بخير وأحسن حال دينيا. و أن تلك الفترة التي تشتت فيها و تشككت فترة صغيرة و مرت إلي حال سبيلها .

و بالفعل حاولت أنا أن أتناسي و أندمج في الحياة التي ولدت فوجدتها و لَم يكن لي وقتها حرية الاختيار ، و كنت في هذه المرحلة فتاة عادية جدا . كنت مثل تلك الفتيات اللاتي أقابلهن في مدرستي (مدرسة راهبات القلب المقدس) بمصر الجديدة و التي نقطن في شارع نهرو القريب جدا منها بمنطقة الميريلاند ،

فتاة غنية مرحة أعيش وسط أسرة مترابطة جداا لنا أصدقاء و جيران و أقارب نتزاور و نعيش وسطهم في سلام و أمان

في النهايـة أنـا فتـاة سـودانية المولـد مصريـة الهويـة فقـد جئنـا مـن السـودان و عمـري ثـلاث سـنوات و لا أعـرف سـوي مـصر وطنـا و أهـلا و لغـة حتـي عندمـا يتكلـم أبي و أمـي باللهجـة السـودانية لا أفهـم أغلـب كلماتهـما

كان ترتبيـي الأخـيرة بعـد ثلاثـة أولاد و بنتـين ، و التـي كنـت محـط حـب و رعايـة مـن الأسرة كلهـا حيـث أن الفـرق بينـي و بـين أخـي و أختـي التوأمـين الكبيريـن يناهـز العشريـن عامـا و بينـي و بـين أختـي التـي تسـبقني أحـد عـشر عامـا ، فكنـت بمثابـة لعبتهـم التـي فرحـوا بهـا و التـي أتتهـم بـدون ترتيـب أو اتفـاق ، فهـي الصدفـة التـي أتـت بي إلي هـذه الدنيـا و التـي عرفـت بعدهـا عندمـا كـبرت أن أمـي جلسـت تبـكي شـهرا كامـلا عندمـا علمـت أنهـا حامـل بي و كان عمرهـا آنـذاك تعـدي الأربعـين بقليـل و قـد حملـت أكـثر مـن عـشر مـرات بمـا فيهـم حـالات الحمـل غـير المكتمـل، فكانـت و بعـد مـرور عـشر سـنوات تشـعر أنـه قـد آن الأوان لهـا أن تسـتريح مـن الحمـل المتتابـع و تربيـة أولاد أتـوا فـوق رؤوس بعضهـم البعـض،

و عـلي الرغـم مـن أن إخـوتي أسـماؤهم بالترتيـب ريمـون و ريفـان وهـما توأمـان ثـم يليهـما رأفـت ثـم رامـي ثـم روبي والتـي كانـوا يعتقـدون أنهـا الصغـري إلا أن القـدر لم يهدهـا هـذا الـشرف بقدومـي

ايمان

سـماني أبي ايمـان و ليـس بحـرف الـراء كباقـي القبيلـة كـما كان دائمـاً يقـول عـلي عائلتنـا

و عمدني في كنيستنا بالسودان

و عندمـا سـألته عندمـا اشـتد عـودي فيـما بعـد لمـاذا اسـمي ليـس بحـرف الـراء كإخـوتي

كان رد أبي

- يـوم ولادتـك العـصر دخلـت انـام شـوية بعـد مـا رجعـت مـن الشـغل و أُكلـت أحـلي أكل في الدنيـا مـن إيـد أمـك الجميلـة الـلي كانـت حاسـة بتعـب الـولادة بـس محبتـش تقولـلي و لا تقلقنـي و عملـت لي الأكل الـلي بحبـه و غدتنـي و شـلت معاهـا السـفرة زي مـا اتعودنـا أنـا و هـي كل يـوم

و لمـا نمـت حلمـت حلـما جميـلا جـداً ، حلمـت بالعـذراء شـايلة طفلـة في إيديهـا ؛ قلـت لهـا مـين دي يـا سـتنا يـا أم النـور، ردت و قالـت لي دي بنتنـا إيمـان

صحيـت مـن النـوم عـلي صـوت ريفـان بتقـولي الحـق مامـا جالهـا الطلـق و بتولـد

و اتولـدتي و سـميتك إيمـان و كل مـا حـد يسـأل بابـا ليـه سـماني ايمـان لازم يحـكي لـه القصـة و كل مـا يحكيهـا تسـمعها منـه بنفـس التأثـر الـلي قـام بيـه مـن النـوم سـاعتها

- عارفـة يـا ايمـان أنـا مـن يـوم مـا اتولـدتي و أنـا بنحـت بالخشـب تماثيـل للعـذراء و بحـب أوي أحـط حواليهـا إطـار نـور ، انتـي يـا بنتـي مباركـة و جـواكي إيمـان و حـب للـرب كبـير و انـا بشـكره عـلي وجـودك انتـي و إخواتـك في حياتنـا إنتـم النـور الـلي أنـا و أمـك بنعيـش علشـانه

4

كنّا أسرة يشهد لها الجميع بحالة الحب فيما بيننا و بين أبي و أمي في الخصوص ، أسره تحب الفرح و تكره الحزن بل تتفاداه و تتغلب عليه ، يوم مات عمي الكبير و كان بمثابة الجد لنا و عندما رجع الكبار من مراسم الدفن فوجئنا بأبي و عمي الأصغر يقفان في المطبخ لطبخ (العصيدة بالمُولاح)

تلك الأكلة السودانية الشهيرة و قالا لأنه كان يحبها بشدة و رجعت بعدهما بقليل عمتي التي أحضرت طبق هريسة كبير لأن أخاها الذي توفي قد طلبها منها قبل وفاته ، فأنهت الدفن و ذهبت إلي بيتها لصنعها، و طول الليل و الإخوة و أولادهم يأكلون ويتذكرون طرائف للمتوفي و يضحكون عليها بملء صدغهم

هذا ما عملنا أبي ، الحزن و النكد ليسا من تكويننا، خلقنا لنسعد ؛ أية مشاكل و خلافات أية أحزان و أتراح نستطيع أن نتغلب عليها ، دائماً ما نخرج من المحنة بمنحة و نحول السواد إلي بياض و ننظر إلي نصف الكوب الممتلئ ، و هذا كله بالحب ، حبنا للعائلة للأصدقاء ، حبنا للمسيح و الكنيسة، حبنا للوطن و الأرض التي تحملنا بين طياتها، حبنا للعالم بأسره ، حبنا للحياة

هذا هو البيت الذي تربيت فيه و خرجت منه،

كان أبي ميسور الحال جدا، فأبي و أعمامي ورثوا تجارتهم أبا عن جد ،

و إخوتي يساعدونه حتى و هم يدرسون بجامعاتهم و يتميزون بشطارة فائقة ، جعلت تجارة أبي تزداد و تزدهر و يصبح المحل أربعة في عدد سنين قليلة ..

كان حب أبي لأمي يفوق خيال مؤلفي الروايات الرومانسية ، و كان يباهي بحبها و يجهر به في كل مكان أو مناسبة، علي الرغم من أن أمي بعد عمرها ربت و سهرت و تعبت لستة أبناء قد أصابها ما أصابها من سمنة و ترهل و تعب أعصاب شبه دائم نتيجة خوف و قلق علينا و علي أبي غير مبرر ، فكان ممنوعا علينا الخروج مساء إلا في صحبة إخوتنا الأولاد أو أولاد أعمامنا ، سهراتنا و مناسباتنا أغلبها في حديقة منزلنا الواسعة ، كل ما طاب من طعام و شراب لدينا منه ما يكفي حيا كاملا و يفيض ، فلماذا نخرج أو نسهر و نتعب أعصابها ، و بعد أن كبر الأولاد خرج الأمر عن سيطرتها فأصبحت شديدة العصبية ليل نهار،

إلا أنها كانت في عينيه أجمل امرأة في العالم ، و أهدي امرأة في الحياة يتغزل فيها ليل نهار ، يثني علي جمالها و خفة دمها وحسن أخلاقها و تفانيها لإسعاده و إسعادنا ، و كان رغم انشغاله في عمله إلا أنه يساعدها في المنزل و المطبخ و لا يجعلها تشتري طلباتنا ، بل كان هناك دائماً عمال لدي أبي يحضرون لها كل مشتريات المنزل ، كان لا يعتبرها شريكة حياته في المنزل فقط ، بل كانت شريكته في العمل حتي و إن لم تكن تخرج من المنزل إلا للضرورة ، كان كل يوم نسمعه يستشيرها في كل صغيرة و كبيرة في عمله و علاقته بالتجار و كانت تشير عليه و كانت دائماً آراؤها صائبة، كانت بمثابة ذراعه الأيمن و أمين خزانته ، فقد كان أبي يخشي البنوك و لا يأتمن أحدا علي ماله إلا أمي ، أعتقد أن أبي شخصيا لم يعرف كم لديه ، لكن كان لديه الكثير ، كان يغدق عليها في المناسبات و أحيانا كثيرة بغير مناسبة بكم من المجوهرات الذهبية و أعقاد من الماس الكبير ،

في ليلة لا أنساها و كانت ليلة عيد الميلاد المجيد في سنة ١٩٧٥

و كنا نتجهز مساء للذهاب إلي الكنيسة و إذا بِنَا نفاجأ بأبي و نحن

عـلي بـاب البيـت يخـرج مـن بـين طيـات ملابسـه عقـدا كبـير مـن الألمـاس الأخـضر الكبـير و يلفـه حـول عنـق أمـي و هـو يقبلهـا بحنيـة بالغـة و يدعـو لهـا بالخـير و مباركـة العيـد

- شنوا هدا يا ميتي ؟ من وين چيبتو ؟ اكتير حلو

- تعرفي العقد دا بتاع مين يا زيزي ؟

- مـين يـا عزيـز ؟ كانـت أمـي عندمـا تتحـدث بجديـة مـع أبي تلقبـه بلقـب أبيـه (عزيـز) فيفهـم أن الموضـع جـد و لا يحتمـل الهـزار و إذا قالـت لـه يـا (متـي) فهـذا في الحديـث العـادي المطلـق أمـا إذا قالـت لـه يـا (ميتـو) فهـذا إنـذار بموجـة مـن الحـب و الدلـع و الهـزار المحبـب إلي قلبـه و قلوبنـا جميعـا

- بتـاع الأمـيرة فوزيـة ، فاكـره لمـا زمـان شـفتيها لابسـاه في صـورة في مجلـة و شـهقتي مـن جمالـه ، مـن يومهـا و انـا قلـت هيكـون في رقبتـك في يـوم مـن الأيـام ، و اهـو جبتهولـك يـا حتـة مـن قلبـي مـن جـوه ؛ و يسـتاهل كل الـلي دفعتـه فيـه

- كـده برضـه يـا ميتـو... قالتهـا بدلـع مبالـغ فيـه و هـي تتحسـس العقـد عـلي عنقهـا و تنظـر لـه نظـرة إغـراء فاضـح

- اااممـم ، طـب ياللـه ننـزل بقـي اتأخرنـا عـلي الصـلاة يـا ولاد ، كل سـنة و انتـوا طيبـين حبايبـي

- طيـب يعنـي يـا بابـا أقولـك يـا ميتـو و تجبـلي عقـد زي دا ، قالـت روبي وهـي تضحـك

- كلـه ليكـم حبيبتـي ، انتـي و إخوتـك ، يعنـي أنـا هاخدهـم معـاي ، كلهـم ليكـم وحاقسـمهم عليكـم قسـمة العـدل،

قالـت لهـا أمـي وهـي مـا زالـت تقـف أمـام المـرآة و تنظـر إلي العقـد في فرحـة عارمـة

أمـي تتحـدث السـودانية دائمـاً ، و أبي يتحـدث معهـا و مـع أقاربنـا و

أصدقائنا من السودان بالسوداني و معانا و مع باقي المصرين بالعامية الفصحى المصرية بجدارة

تمنينا لها جميعا طول العمر و أن تتمتع بمجوهراتها و تعيش بسعادة.

كما كان في أحد غرف منزلنا المكون من ثلاثة أدوار و يتوسط شارع نهرو الشهير خلف حديقة الميريلاند خزانة حديدية كبيرة جدا فقط مع أمي مفاتيحها و إن أراد أى أحد منا أي أموال حتي أبي يجب أن يسأل أمي لتعطيه،

يساعدها في أعمال المنزل رغم وجود أكثر من شغالة تساعد أمي ، ولكنهم ممنوعون من دخول المطبخ أو وضع أيديهم في أى أكل ، فأمي كانت طباخة ماهرة يتحكي عن طعامها العائلة في مصر و السودان و كل الجيران و الأصدقاء ، كم من المرات التي رأيت بها أبي يجلس في المطبخ فاردا جرائد قديمة و يكور المحشي و يقطع الخضار و أمي تقف علي الحوض تغسل الطيور و أخواتي البنات كلا تقوم بعمل صنف مختلف لأن الْيَوْمَ هو عيد ميلاد أحدنا أو بعض الأقارب قادمون من السودان وهذه الزيارة تمتد أربعة أو خمسة أيام و أبي رغم عمله و خروجه نهارا إلا أنه في مثل هذه المناسبات يجلس في البيت خصيصا ليساعد أمي في المطبخ فقد كان أيضا متخصصا في صواني الأسماك و كانت أمي تترك له نظافة السمك و تقطيعه و طبخه في صوانٍ كبيرة و كان علي الرغم من وجود خدم إلا أنه أيضا كان يحب أن يجمع الأطباق بعد الأكل و يدخلها إلي المطبخ و يقف علي يد البنت التي تنظف من رص الأطباق و التأكد من أن كل شيء نظيف و يلمع و فِي مكانه

ثم يأوي إلي فراشه ساعتين بالتمام و الكمال هو و أمي يحظر علينا فيهما المرور من الممر المؤدي إلي غرفتهما أو إشعال التلفاز أو الراديو و إن لم نكن نريد أن ننام مثلهما في هذه القيلولة فكل ما نستطيع

فعله هو القراءة ، كان هذا هو النظام الذي كبرت عليه و إن لم يكن ينفذه سواي الآن

في هذه الفترة و عندما بلغت اثني عشر عاما كان أخي الأكبر قد تزوج من ابنة عمي و ذهب للعيش في الإسكندرية لإدارة مغالق الأخشاب و أحد محال الأثاث ، و أختي الكبري توأمته قد أنهت تعليمها الجامعي قسم صحافة بالجامعة و تزوجت من زميل لها و سافرت معه إلي كندا و أنجبت ثلاثة أبناء و كانت حريصة علي زيارتنا صيفا و شتاء

وأختي الصغري ما زالت بالجامعة والتي أصرت فيها علي دراسة الطب رغم اعتراض أبي لأنه أشفق عليها من تعبها و أنه كان يحب أن تدرس مثل ريفان في الجامعة الأمريكية ،

وكان معنا في البيت ما زال رأفت و رامي و إن كان رامي قد خطب إحدي أقاربنا و كنا في هذا الصيف نرتب لحفل الزفاف ، و كانوا دائما هم الثلاثة في الخارج طول الْيَوْمَ و لا يأتون إلا علي العشاء

5

كنت متفوقة دراسيا بشكل ملحوظ ،و خصوصا في مادة الرياضيات، كنّا ندرس باللغة الفرنسية و هذا كان من وجاهة هذا الزمان ، فالعائلات الكبري تسكن في مناطق محدده مثل الزمالك وجاردن سيتي و المعادي و مصر الجديدة و يعلمون بناتهن في مدارس الراهبات الإنجليزية أو الفرنسية و بعد المدرسة يتعلمون الباليه و البيانو و الإتيكيت،. وكانت قلة من هذه العائلات التي ترحب بالتعليم الجامعي لبناتهم ، كان أبي من هؤلاء ، فقد كان تعليمنا أنا و إخوتي من أولوياته في الحياة و من دواعي فخره ، فبعد تخرج روبي من كلية الطب أصبح يقول (أنا أبو الدكتورة أنا ابو الدكتورة)

و عندما تخرجت ريفان من قسم الصحافة صمم علي أن تعمل بالرغم من عدم احتياجها ماديا أو معنويا للوظيفة و لكن أبي وفِي مساء يوم هادئ ككل أيامنا كنّا نجلس بحديقة البيت عندما قال

- الشغل للبنت زي البنك كده، بتحط فيه دراستها و خبرتها و تعبها، علشان يوم ما الدنيا تقلب وشها عليها تلاقي اللي متحوش لها، اوعوا تستقلوا بالشغل في حياتكم

ولا تقولوا نشتغل ليه احنا معانا فلوس مش محتاجين ، الزمن دلوقت بقي مفيهوش أمان ، و محدش عارف بكره مخبي لنا إيه ،

أنا بقولكم نصيحة خلوها حلقة في ودنكم، تعليمكم ، شغلكم .. دا سلاحكم الأول في الدنيا

في المرحلة الثانوية كانت الإدارة التعليمية تقيم مسابقات بين المدارس و كانت مدرستنا دائماً في الطليعة و كنت منذ الصف الأول الثانوي أكون سببا رئيسيا في هذا التقدم بسبب نبوغي في الحساب

، فقد كنت أستطيع في ثوانٍ قليلة حساب أربعة أرقام مضروبين أو مقسومين علي أربعة أرقام بدون استخدام أية آلة حسابية ، و كان أبي كثيرا ما يثني علي في هذا الشأن و يتوقع لي مستقبلا باهرا في المحاسبة ، ووعدني أنني عندما أنهي تعليمي الجامعي سوف أعمل معه في شركته المسؤولة عن توريد الخشب ومعاملاته المادية مع العملاء

في العام الثاني الثانوي و في أول يوم للدراسة دخل علينا مدرس الرياضيات و قد كنّا نَدرس باللغة الفرنسية و كانت أغلب مُدرساتنا راهبات مصريات من الصعيد ؛ و كانت في المراحل الدراسية الأخيرة تستعين المدرسة بمدرسين ذوى خبرة في المواد الثقيلة كالعلوم و الرياضة ، ففوجئنا بدخول مدرس علينا لتدريس مادة الرياضة و للغرابة كان شابا و ليس رجلا كبيرا كالمعتاد ..

و عندما وقعت عيني عليه شعرت برجفة في قلبي غريبة لم أشعر بها من قبل و تسمرت عيناي علي وجهه و كأني أحفظ صورته في عقلي

- أحب أعرفكم بنفسي أنا اسمي جورج مدرس الرياضة الجديد عندكم السنة دي ، أنا خريج (الفرير) و من بعدها كلية التربية و عامل دبلومة في الرياضيات و اشتغلت في التدريس بقالي سنتين فقط ، يعني أنا مش أكبر منكم بكتير ، فأتمني اننا نقضي عام دراسي كويس و تسألوني دائماً علي اللي مش فاهمينه ،

ثم بادر فجأة بسؤال

- فين ايمان متي عزيز ؟

وقع قلبي من صدري و كتمت أنفاسي خشية أن يظهر علي أي من تلك الأحداث التي تحدث بداخلي الآن

فوجئت بالسؤال كما لاحظت نظرات البنات إلي و همسهن فقد كان نادرا أن نري مدرسا شابا ووسيما و يدرس لمراهقات في أقوي مراحل المراهقة

- أنا أهو

وقفت أعدل في هندامي و أنا أرد و أتنفس بصعوبة بالغة

- أنـا متابعـك في كل المسـابقات بتاعـة الـوزارة و كنـت مهتـم جـدا إني ادرسـلك العـام دا ، انتـي موهوبـة جـدا وهيكـون لـك مسـتقبل كبـير ، المهـم بـس متخلصيـش المدرسـة و تتجـوزي و تقعـدي في البيـت زي أغلـب البنـات دلوقـت ، قالهـا و هـو يضحـك و يبـدأ في فتـح أوراقـه

لم يـدق قلبـي قبـل هـذا الْيَـوْمَ و لَـم أعـرف معنـي الحـب الـذي كنـت أراه في الأفـلام أو أسـمع صديقـاتي يتحاكـين عنـه ،. فأنـا الحـب عنـدي طـوال السـتة عـشر عامـاً الماضيـة كنـت أعرفـه مـن عائلتـي و أكتسـبه مـن حـب أبي لأمـي وأفرغـه عـلي عائلتـي فقـط ، أمـا هـذا الحـب لم يتطـرق إليـه قلبـي مـن قبـل ولَـم يعرفـه

أصبحـت لا أري في الدراسـة غـير درس الحسـاب ، و لا أذاكـر و أجتهـد غـير فيـه ،

اعتمـد عـليّ الأسـتاذ جـورج كـما كنـت أناديـه أمـام الجميـع ، اعتمـد عـلي في الكثـير في حصتـه حتـي أصبحـت كالمسـاعدة لـه و ليـس تلميذتـه . فأكتـب عـلي التختـة و هـو يـشرح ، أفـرق معـه أوراق الامتحـان و أسـاعده أحيانـا في حجـرة المدرسـين في تصحيـح بعضهـم،

أما فيما بيننا فقد كنت أناديه جورج فقط

بعـد أول شـهر مـن بـدء الدراسـة كنـت أتمـشي وقـت الغـروب علي سُـوَر حديقـة الميريلانـد أمـام بيتنـا كـما اعتـدت دائمـاً ، فأنا أعشـق هـذه الحديقة مـن الداخـل و الخـارج ، يـوم الجمعـة منـذ الصغـر و نحـن نجتمـع بالعائلـة فيهـا بعـد تنـاول الغـذاء في بيتنـا ، نترجـل كبـارا و صغـارا لندخـل الحديقـة ، نلعـب نحـن الصغـار قليـلا و نركـب المركـب عـلي هيئـة بـط و إوَز في البحـيرة الشـهيرة بهـا ويجلـس الكبـار لـشرب البـيرة و المثلجـات . و نمـضي الْيَـوْمَ حتـي ميعـاد العشـاء فنخـرج مـن البوابـة الخلفيـة لنعـبر الشـارع

فقط لنكون في حديقة منزلنا و نجد أمي و أبي يجهزان الطاولة الطويلة الممتدة و عليها من كل ما لذ و طاب ، لتكمل العائلة السهرة حتي ساعة متأخرة و كانت تلك هي عادتنا صيف شتاء ، اجتماع العائلة و الأهل و الأصدقاء و التجمع دائماً ما يكون عندنا

و لذلك ارتبطت نفسيا منذ الصغر بالحديقة سواء من الداخل أو الخارج

و فِي خلال الأسبوع أمشي أنا حول السور الخارجي صيفا وشتاء وقت ما قبل الغروب ،

و في هذا الْيَوْم فوجئت بالأستاذ جورج يركن سيارته و يترجل منها

- ايمان ؟ إنتي بتعملي إيه هنا

كدت أن أقفز إليه لأرتمي في حضنه فأنا منذ رأيته و أنا أتمني حدوث مثل هذا الموقف ، أو أي موقف آخر أراه فيه خارج أسوار المدرسة

- أنا ساكنة هنا يا أستاذ ، حضرتك اللى بتعمل إيه هنا

- كنت بزور خالي ، هو جاركم هنا في شارع السباق

- طيب كويس أوي ، دي فرصة سعيدة أوي ،

- إنتي بتمشي ؟ ممكن امشي معاكي شوية ، عاوز أستشيرك في كذا حاجة تخص الفصل

- آه طبعا ، دا شيء يشرفني

لم أسمع كلمة مما قالها فقد كانت دقات قلبي تعلو علي أى صوت ، التفت يميناً و يساراً كأني كنت أسرق فرحة ليست مكتوبة لي

و عندما شارف الوقت علي الغروب و اعتذرت منه لأهمية ذهابي الآن و شاورت له علي فيلاتنا مد يده ليسلم علي

ما هذا الإحساس الذي شعرت بيه و ما هذه الحرارة التي تعدت الإثنتين و أربعين التي اجتاحت جسدي و كأني محمومة و هذه الرعشة

التـي انتابتنـي حتـي أفقدتنـي القـدرة عـلي النطـق حتـي أني لا أعلـم مـاذا قلـت لـه غـير حـروف مبعـثرة لا تتعـدي الكلمـة و تقريبـا عـبرت الشـارع بظهـري مثبتـة نظـري عليـه

تعمـدت بعدهـا أن أنـزل في نفـس الوقـت كل يـوم ،. وكان أبي يخـشي عـلي الوجـود خـارج المنـزل بعـد الغـروب لأننـا و إن كنّـا نسـكن في منطقـه راقيـة جـدا إلا أن أبي كان يخـشي علينـا مـن سـكان بعـض المناطـق الخلفيـة لمنزلنـا، و إن كان يواجـه سُـوَر الحديقـة كنـت أقنعـه دائمـاً أننـي أمـام المنـزل ولا أتعـدي المسـاء ، فقـط وقـت الغـروب

كان جـورج يكـبرني بإحـدى عـشرة سـنة كنـت لا أشـعر بهـم فقـد أحسسـت معـه أني فتاتـه الأولي و أنـه لم يحـب في حياتـه قـط سـواى ، كنّـا فقـط نمـشي سـويا لمـده سـاعة كاملـة ، و لكنهـا كانـت بالنسـبة لي العمـر كلـه ، كنـت مازلـت صغـيرة و أن يحبنـي شـاب تحـاول مدرسـة كاملـة لفـت نظـره و لكنـه لم يـر سـواي ، فهـذا كان أحـد أسـباب إحسـاسي أني ملكـة متوجـة ، كان عطوفـا جـدا محبـا مثـل أبي نعـم كان فيـه مـن صفـات أبي الكثـير و رغـم أني أحببتـه منـذ ذكـر اسـمي في الفصـل أول يـوم أراه فيـه إلا أن معرفتنـا اليوميـة جعلتنـي أشـعر أنـه حـب حيـاتي و لا أريـد مـن الدنيـا سـوي عائلتـي و هـو و كفـي .

كان متدينـا جـدا، و يذهـب إلي نفـس الكنيسـة التـي نذهـب إليهـا و أبونـا يعرفـه حـق المعرفـة و كان زميـلا لوالـده، فطمأننـي أن هـذا سـوف يعـزز موقفـه عنـد أبي عندمـا يطلـب منـه يـدي

اتفقنـا أن أكمـل تعليمـي و أنـا بمنزلـه فهـو كان يعـد عِـش الزوجيـة مـن قبـل أن يعرفنـي فقـد ورث عـن أبيـه مبلغـا كبـيرا مـن المـال اشـتري بـه شـقة بميـدان تريومـف بمـصر الجديـدة و كان زواجـه تأخـر لعـدة أسـباب منهـا مـرض والدتـه التـي توفيـت منـذ عامـين ثـم مسـؤوليته عـن أختـه التـي تزوجـت و هـو ينهـي دبلومتـه في الرياضيـات بالفرنسـية و مـن

بعدها ترك الأمر حتي أن يلتقي بمن تملأ قلبه و كنت أنا هي

- العيد قرب عاوز اجبلك أي هدية ؟

- لا أنا مش عاوزه حاجة من الدنيا غيرك انت و أهلي و بس ، أنا ساعات من فرحتي بصلي لربنا اشكره و أقوله يحافظ لي عليكم و بس

- أنا مش عارف حياتي قبلك كانت عاملة ازاي ، انتي كل حياتي وانا كمان بشكر ربنا علي إنه عرفني بيكي ، و إني حبيتك وانتي حبتيني وإننا هنكمل عمرنا سوا و نربي ولادنا و..

- وانا لازم اروح بقي علشان الوقت خلص

- مش معقول هنفضل نتقابل ساعة كل يوم بس علي كده ،و كمان الأجازة دي طويلة ولسه أسبوع علي العيد و بعدين ارجع اشوفك علي الطاير في المدرسة

- معلش أهو أحسن من مافيش

- طيب يلا علشان اعديكي الشارع ، و اطمن عليكي انك دخلتي البيت، و حاضر من بعيد لحسن حد يشوفني ، أنا حافظ كويس

أمسك يدي لنعبر الشارع فتمنيت ألا يفلتها أبدا ، فكنت أشعر أن يده تعتصر قلبي و ليس يدي ، و أن العالم كله يتوقف عن الحركة ليشاهد تلك اللمسة الساحرة الحانية التي تقول ما لم يقله كل شعراء الحب ، أحببته حباً لا يوصف غير بحب أبي لأمي ، و اعتبرت أن هذا هو الطبيعي ، مستوي الحب بهذا القدر هو الطبيعي ولا يوجد فيه أي درجات أو اختلافات

و فِي ليلة عيد الميلاد و كنا قد تزينا و ارتدينا ملابسنا الجديدة و فِي طريقنا إلي الكنيسة للصلاة و كنت أستعد لركوب السيارة مع أخي ريمون و أمي و أبي في سيارتهم ، لأفاجأ به يقف علي الرصيف المقابل مستندا علي سيارته و ممسكا بباقة ورد كبيرة ، و عندما رآنا نخرج من باب الفيلا حتي عبر الشارع في خفة غريبة لأجده يقف أمام سيارة

أبي و يبتسـم لـه ، و كانـت هـذه أول مـره أفقـد الوعـي لا أعـرف مـن الفرحـة أم مـن الخـوف.

6

رفضه أبي حتى قبل أن يسمعه، رفضه لعدة أسباب كما حاول أن يشرح لي بعدها

فرق السن ، صغر سني و أني غير مؤهلة للارتباط الآن ، مرفوض زواج بناتي قبل أن يتممن تعليمهن الجامعي ، كيف يتجرأ كمدرس و يحب تلميذة لديه و أن هذا ضد الأخلاقيات

و لَم يكتف بهذا بل علمت بعدها أن أبي كان سببا في أن يترك التدريس ، ليس في المدرسة فقط و لكنه ترك مجال التعليم كله ،. و لَم أره مرة أخري و لا أعلم لماذا لم يحاول الوصول إليّ و لماذا لم يحاول و يحاول و يحاول ،. فأنا أعلم مدي طيبة قلب أبي و أنه لربما كان يوافق و خصوصا إذا بكيت له و ألححت عليه كما كنت أفعل دائماً ، أو نوسط أبونا في الكنيسة يكلم أبي و هو يحترمه و يقدر كلامه ربما أقنعه ، كنت أنتظره كل يوم و أمني نفسي بأنه قادم لا محالة ، لن يتركني بعد كل هذا الحب ، لن ييأس و سوف يخطفني علي حصانه الأبيض إذا تمادي أبي في الرفض ، سوف يفعل المستحيل ، ربما ننتحر سويا حتي يوافق أبي ،

كل ما قرأت في كتب رومانسية أو أفلام تخيلته فيها ، و لَم يحدث أي من هذا ، اختفي و فقط

بسبب هذا لم أحزن طويلا ، فقد انتظرته و لَم يظهر و لَم يحاول فشعرت بأن كرامتي قد جرحت بشدة ، فلملمت أشلائي سريعا و تماسكت و رفعت رأسي عاليا فلست أنا من تبكي علي شخص لم يستمت محاولا الفوز بمن أحب و أنه قد قفز من القارب عند اشتداد أول ريح.

و إن كنت فقدت اهتمامي بالتعليم ككل كما فقدت اهتمامي بأشياء كثيرة ، كما كنت أسمع من أقاربي أني قد ذبلت و أنا في أول مراحل الإزدهار ، و لكني فاجأت الجميع في نهاية العام و عند ملء استمارة الاختيار بين القسم العلمي أم الأدبي كما كان المتبع في نظام التعليم الثانوي في هذا الوقت

اخترت الأدبي

فقد كرهت مادة الرياضة و لَم أعد أذهب إلي مسابقات الإدارة التعليمية

بدأت الخروج مع شلة تعرفت عليها في المدرسة و كنا نذهب إلي فندق بيروت في آخر الشارع الذي به مدرستي ، و علي الرغم أنه كانت هناك أنواع كثيرة من الخمور في بيتنا نشربها في المناسبات و العزومات إلا أني لم أجربها من قبل و لَم أحاول و لا أعرف السبب ، و لكن في هذه الفترة بدأت أشرب نوعا من أنواع البيرة المستوردة غالية الثمن عن مثيلاتها المصرية فقط لأثبت لمن حولي أنى فتاة ثرية و لا ألقي بالا للمال ،و كذلك بدأت التدخين ، سجائر عادية و رفضت المخدرات عندما أتيحت لي الفرصة ،

لم أكن جميلة الجمال المبهر في ذلك الوقت من شعر أصفر و عيون زرقاء و لكن جمالي الأسمر كان أخاذا مع قصر شعري وقامتي أصبحت لي سمة خاصة أتميّز بها

-انتي ليه مش داقة صليب في إيدك يا ايمان ؟

سألتني ذات مرة إحدي صديقاتي

- كل ما اسأل بابا و ماما السؤال ميعرفوش يجاوبوا بغير انهم نسيوا ، و بعد ولادتي بحاجة بسيطة كانوا بينقلوا حياتهم من السودان لمصر فانشغلوا ما أنا أصلي جئت لهم في الوقت الغلط ، كانوا خلاص نسيوا الخلفة و العيال و أنا لما كبرت بنت عمتي قالت لي تعالي نروح

نـدق سـوا خفـت مـن الألم قلـت لا مـش بسـتحمل ، يمكـن دلـع مـش أكـثر، دا الـلي افتكرتـه سـاعتها .

انفضـت جلسـة الأصدقـاء في فنـدق بـيروت بعـد عـدة كـؤوس مـن البـيره و ذهـب كل في طريقـه و جلسـت أنـا متحججـة أني أنتظـر صديقـة ، لم يكـن هنـاك ميعـاد محـدد لي للرجـوع إلي البيـت طالمـا المغـرب لم يحـل ، و كنـا في فصـل الصيـف و اليـوم مـازال في منتصفـه عندمـا جلـس إلي الطاولـة التـي أمامـى شـاب أبيـض وسـيم طويـل يرتـدي قميصـا رماديـا فضفاضـا و بنطـالا أسـودا و يضـع في رقبتـه عـدة سلاسـل خشـبية

جلـس وأخـذ يحـدق في زجاجـة البـيره المسـتوردة وعلبـة السـجائر التـي أمامـي و فاجـأنى أن قـام لأجـده جالسـا أمامـي في أقـل مـن ثانيـة

- مـش صغـيرة انتـي أوي عـلي كـده؟ و إزاي أصـلا سـمحولك هنـا ، ممنـوع عـلي فكـرة لأقـل مـن ٢١ .

كنـت أفكـر أن أرد عليـه ردا قاسـيا معنـاه أنـه مـن أنـت و كيـف تجلس معـي هكـذا و مـا هـو شـأنك كيـف دخلـت أم لا ،،،،،، إلا أنـه مـد يـده لي مقدما نفســه

- محمد أباظة
- ايمان
- بس كده ؟
- آه بس كده

كنـت بعدمـا حـدث العـام المـاضي و قصـة جـورج و كيـف انتهـت قررت أن أنـسي مثـل تلـك المشـاعر و الأحاسـيس إلي أن أنهـي دراسـتي الجامعيـة حتـي تكـون مشـاعري قـد نضجـت تمامـا كـما قـال أبي لي

و لكـن هـل مثـل تلـك المشـاعر و الأحاسـيس يسـتطيع أي بـشر قـد كان أن يحـدد متـي يسـتخدمها و كيـف ؟

لا أسـتطيع أن أقـول أني أحببـت محمـد و لكنـه كان بمثابـة مكافـأة

القـدر لي بعـد أن أنهـي جـورج قصتنـا بشـكل درامـي جعلنـي أفقـد الثقـة في نفـسي تمامـاً

محمـد كان مجنونـا ، شـخصية غريبـة، مرحـا إلي أقـصي الحـدود و إن كان يكفيـه أن جعلنـي أضحـك كثـيرا و أحـب الحيـاة مجـددا و أحـب نفـسي فقـط فهـذا يكفيـه ،

كانت مقابلاتنا كلها مفاجآت مبهجة

في أحدها سألني

- معانا وقت اد إيه ؟

- معاك لحد قبل الغروب أكون ادام البيت

- طيب كويس ، لسه بدري ، اركبي

- هنروح فين؟

- من إمتي بتسألليني السؤال دا

و ذهبنـا إلي بورسـعيد و لَـم أكـن ذهبـت إليهـا مـن قبـل ، كنّـا في العـام ١٩٧٩ و كنـت في الثامنـة عـشر مـن عمـري و كان هـو في الثلاثـين و إن كان يظهـر أنـه في العشرينـات

لا أعرف لماذا أجذب من هم أكبر مني سنا بكثير و لكني لم أبال

في هـذا الْيَـوْم اشـتري لي محمـد الكثـير مـن الأشـياء و إن كانـت تبـدو بسـيطة أو ليسـت مـن النـوع التـي اعتـدت شراءه و لكنـي فرحـت فرحـة عارمـة بهـم و أكلنـا في مطعـم عـلي البحـر سـمكا أقسـم أني مـا ذقـت في جمالـه إلي الآن ، كان جنونـه هـو مصـدر سـعادتي ، ابتـكاره لأشـياء فقـط لجعـلي سـعيدة ، محاولاتـه الدائمـة لجعـلي أضحـك مـن كل قلبـي ، نزهاتـه في أماكـن لم أكـن زرتهـا مـن قبـل ، قبلاتـه المجنونـة و التـي كنـت أشـعر أني قـد شربـت عـشر زجاجـات بـيره بعدهـا ، لمسـه لي بطريقـة تجعـل قلبـي يسـقط منـي و لا أشـعر بالمـكان ولا الزمـان ،

و إن كنـت أوقفتـه أكـثر مـن مـرة عـن التـمادي عـن هـذا الحـد ، و كان

يحترم رغبتي الكاذبة و يتوقف.

و بعد حوالي شهرين معا ، أقابله بعد خروجي من المدرسة ، ينتظرني بسيارته الحمراء ماركة ١٢٨ سبور نخرج و نلهو و نأكل في أماكن غريبة ،

في إحدي خروجاته المجنونة و كان يوم جمعة ذهبنا إلي منطقة تسمي (باب النصر) و كان يزور قبر والده هناك حين رأيته لأول مرة منذ عرفته يبكي متأثرا بشدة و بعد أن مسح دموعه قال

- بعد ما نقرأ الفاتحة علي روح أبويا و أموات المسلمين ونفرق (قرص) علي الناس هنا هنروح نصلي الجمعة في جامع هنا قريب اوي اسمه احمد بن طولون جميل اوي و فِيه راحة نفسية كبيرة جدا هتحسيها، و بعدها ناكل أحلي حمام محشي عند محل فاتح جديد عند مسجد سيدنا الحسين ، ش الله يا حسين ، اسمه الدهان ،بس إيه حكاية ..هتاكلي صوابعك وراه

- لا مانا مش هيينفع أقرا الفاتحة و لا أصلي

- ليه عندك عذر شرعي

- لا عندي صليب في قلبي

- نعم؟

- أنا مسيحية

بعدها أخذت علاقتي بمحمد تأخذ شكلا مختلفا ، فبدأ يعرض علي أن أذهب معه إلي شقته لأنه مل من خروجنا في الفنادق و المطاعم ، أو أنه يريد مساعدتي في ترتيب أشيائه بعد أن نقل شقة جديدة ، حجج كثيرة كان يعرضها علي بين حين و آخر و عندما باءت كل محاولاته معي بالفشل فأنا و إن كنت تعرفت عليه و أنا أشرب و أدخن و سمحت له بتقبيلي و ملامستي و لكني مازلت مسيحية متدينة أحاول جاهدة ألا أتخطي كل الحدود

وبعـد أن بـدأ في الانسـحاب تدريجيـا مـن حيـاتي و عرفـت بعدهـا بفـترة أنـه قـد خطـب تلـك الجـارة التـي كان يحـكي لي دائمـاً عنهـا و أنهـا صديقـة لأختـه في بيتهـم القديـم و أنهـا كانـت تعمـل المسـتحيل حتـي تلفـت نظـره إليهـا حتـي أنهـا أرسـلت مـرة مـع أختـه لـه جوابـا تطلـب منـه فيـه أن تلتقيـه فـوق سـطح العقـار و رفـض هـو بشـدة و كان دائمـاً مـا يتهكـم عليهـا وعـلي تصرفاتهـا .

و انتهـت قصـة محمـد بعـد أن علمنـي درسـين في حيـاتي ، أن الضحـك يطيـل العمـر و يبعـث بالسـعادة الداخليـة للإنسـان في أحلـك المواقـف و أن المـرأة عنـد بعـض الرجـال مـا هـي إلا جسـد يسـتخدم لإرضائـه و إلا فـلا قيمـة لهـا عنـده .

7

أنهيت الثانوية العامة قسم أدبي بمجموع بسيط لا يتناسب مع قدراتي السابقة و ذكائي الذين فقدتهما مع تحرك قلبي و انشغالي بأمور أخري في الحياة

و عندما كنت مازلت أختار بين الكليات و ماذا أريد أن أدرس و أين...

مات أبي

سقط أمامنا و هو بكامل صحته و لياقته و عدم تعرضه في طيلة حياته لأي مرض أو أخذه لأي دواء

سقط ميتا في منتصف الصالة بعد أن اطمأن علي المطبخ أنه يلمع من شدة النظافة بعد أن أنهينا غذاءنا أنا و هو و أمي فلم يكن هناك غيرنا في البيت

مات أبي

و بموته ماتت أشياء كثيرة في حياتي،

فقد كان هو السند الحقيقي ، لم أكن أخشي شيئا ، أو أحداً ، وعندما أخطئ أتحدث إليه بكل صراحة، لم أكن أتحدث إلي أمي أو أستشيرها في أي من الأمور فقد كانت لا تعي في أمور الحياة سوي الخلفة و تربية الصغار و إرضاء الزوج و البيت ، لم تكن تخرج إلا في الأعياد و المناسبات وحتى صلاة يوم الأحد كانت تعتذر عنها مرات كثيرة لانشغالها بالمطبخ

لذلك كان مرجع الحياة بالنسبة لي هو أبي

كان يحبني و يفضلني علي إخوتي في الكثير من الأمور و يتحجج بأني الصغيرة و أني لن أنعم بحياته بالكثير و أنه مفارقنا و هم كبار و

أنـا صغـيرة و كان عـلي حـق

و لكـن التسـعة عـشر عامـاً التـي قضيتهـا مـع أبي كانـت كفيلـة بـأن أتمتـع فيهـا بـكل خيراتـه ، كان في كل عيـد ميـلاد و منـذ عيـد ميـلادي الأول يهدينـي طاقـما ذهبيـا كامـلا يتـدرج كل سـنة عـن الأخـرى في الكـبر و كانـت أمـي تشـيل في خزانتهـا الكبـيرة الأطقـم و تقـول لي

- لمـا تحتاجـي تلبـسي منهـم قوليـلي و أنـا اطلعلـك، دول متشـالين لـك لمـا تروحـي بيـت جـوزك تروحـي بعـز ابـوكي و خـيره

عندمـا أنهـي قصـة جـورج أقنعنـي أني صغـيرة و أن عقـلي و قلبـي غـير ناضجـين نهائيـا للاختيـار الآن و اقتنعـت

و عندمـا حكيـت لـه عـلي محمـد عاتبنـي ، ليـس لأني قابلتـه في بـار أو أننـي كنـت أشرب ، أو عـلي أني سـافرت معـه إلي بورسـعيد مـرة دون إخبـار أحـد ولا عـلي السـتة أشـهر التـي كنـت أدعـي فيهـم أني أنهـي المدرسـة و أذهـب إلي النـادي أو إلي الكنيسـة لأخـدم

لا

لم يعاتبنـي أو ينهـرني عـلي كل هـذا عندمـا رجعـت مسـاء يـوم أبـكي في حجـرتي بعـد أن علمـت أن محمـد قـد خطـب جارتـه و تهـرب مـن محـاولاتي لقائـه

نهرني لأنى أحببت مسلما

فقط ؟

عاتبنـي بـل نهـرني بشـدة و كانـت تلـك أول مـرة أري أبي يعنفنـي و يلقـي عـلي درسـا شـديداً

- المسـلمين بيكرهونـا يـا بنتـي ، بيكفرونـا ، اوعـي تفتكـري ان المسـلمين اخواتنـا زي مـا بنقـول ، و لا هـما أصحابنـا و جيرانـا الـلي بنتعامـل معاهـم كل يـوم ، دا منظـر بـس ، لأن احنـا ديننـا دائمـاً بيدعونـا لكـده ، لكـن هـما لا دينهـم بيكفرنـا ، هاتيـلي أي مسـلم مـش بيقـول اننـا هندخـل النـار و

نتحرق فيها ، في مصر و السودان زمان كان الأقباط هما أصحاب الأرض لغاية ما جم بجيوشهم و سيفهم و احتلوا مصر و بعدها نزلوا علي السودان و إن كان محصلش فيها حرب و استعمار إسلامي علشان كده كان التدين بسيطا جدا أقرب إلي القدوة و التقليد منه إلي الفكرة و المعرفة ، غير اللي حصل في مصر ، هنا أرغموا الناس علي اتباع دينهم بالسيف و النار، و اللي رفض عاملوه معاملة العبيد ودفع الجزية علشان بس يعيش علي أرضه ، هدموا الكنائس و حرقوا القسيسين و الرهبان ، طبعا محدش هيعترف ب دا لأنهم كدبوا علي مر السنين و صدقوا كدبهم، فرضوا دينهم بالغصب ، بعد ما اتعلموا من المسيحين كل العلوم و إزاي يزرعوا و يقلعوا و يحصدوا و يخزنوا، أخدوا فلوسهم و تجارتهم و شغلوهم عندهم في أملاكهم عبيد علشان بس يعيشوا، و بعد كده بقوا هما الأغلبية و بقينا احنا الأقلية المنبوذة الضالة الكافرة ، حتي احنا لما جينا من السودان كنّا عارفين اننا مش جابين الجنة و كنا فاهمين اننا أقلية، و قعدنا وسطهم بمبدأ صباح الخير يا جاري انت في حالك و انا في حالي، احنا كمان كنّا بنعاني من الناحيتين دين وجنسية و نشكر ربنا اننا عشنا في سلام لحد دلوقت علشان ماشيين جنب الحيط و بنشتغل بضمير لحد ما بقي لينا إسمنا و شغلنا بيحلفوا بيه مسلمين قبل مسيحين بس دا لشغلنا بس ، لكن اللي في القلب واحد احنا كفرة و سرقتنا حلال بالنسبة لهم، يبجوا علينا في ده و نسكت ، يشتروا من بعض وينفعوا بعض الأول و ياخدوا مننا بالخسارة و نسكت يقولوا علينا عضمة زرقا ومايكلوش من طبقنا و نسكت ، لكن لحد بنتنا لا و ألف لا ، اوعي تآمني لواحد مسلم و تديله قلبك ، دا في عقيدتنا اسمه كفر و في ناس بتتقتل فيها

مات أبي بعد أن أرسي بداخلي مبادئا جديدة كنت لا أعلمها و لكن لم ألق لها بالا أو أخف منها ، فأنا كان لدي الكثير من الأصدقاء

المسلمين ، لم أر علي أي منهم أي شيء يدعوني لأكرههم ، كانت لي صديقة والدها شيخ بالأزهر كانت تمشي بالمودة و الرحمة حتي علي الحيوان في الشارع ، عذبة الحديث جميلة الخلقة و الخلق و كانت تحبّني من كل قلبها لم تتطرق في يوم إلي الحديث عن دينها و ديني و لَم تشعرني لحظة أنها تكرهني كما قال أبي بل علي العكس عندما عزمتني ذات مرة في بيتها و فوجئت أن والدتها جهزت لي أكل صيامي لأننا كنّا في وقت صيام ، أحببتها كما أحببت والدتها التي كانت تحتضني بشدة أشعر فيها أن قلبها التصق بقلبي وملأته بطاقة كبيرة من الحب ، كما كنت أحب أن أسمع صوت والدها و هو يقرأ القرآن في حجرته المغلقة و من قوة و جمال صوته ينتشر الصوت في البيت كله ، حالة من الخشوع و الرهبة كانت تنتابني عندما أزورهم

مات أبي وقد كان حبي و رجلي الأول و بموته مات كل الرجال

حزنت عليه أياما و أياما لم أبرح غرفتي و لَم أكفكف دمعي ،. حتي حضر أخي ريمون لإخباري أنهم قد اتفقوا علي عدم توزيع الميراث و إن العمل سيجري كما هو، غير أنه سيحل محله في إدارة محلات القاهرة و المغالق بالإسكندرية تحت إدارته هو منذ حياه أبي ، و أن أي أموال أطلبها موجودة بالخزينة الكبري بالمنزل و مع أمي مفتاحها،

و أن أبي قد أوصي بما أنني الأخيرة و التي لم تتزوج بعد أن أستلم ميراثي كاملاً يوم زواجي و بعد أن يطمئن أعمامي و إخوتي لهذا الزوج و أن يحفظوا لي حقي كاملا ، و أنه قال أنه عاش يعمل حتي آخر لحظة في عمره حتي يهيئ لنا عمرا مزدهرا ويضمن لنا مستقبلا لا نتعب فيه أبداً

و بعدما مر أربعون يوما علي وفاته ، خرجت من حجرتي لأول مرة فوجدت البيت كئيباً كبيرا فارغاً، فقد رونقه بفقده صاحبه ،

فاقترحت علي أمي أن نسكن شقة صغيرة تساعنا أنا و هي بما أن كل الأخوة قد استقلوا بحياتهم و يملكون منازلهم و أصبحت زيارتهم أسبوعية فقط

و كنا علي مشارف العام الجامعي الجديد و الذي بموت أبي كنت قد تخطيت فترة السماح بتقديم الأوراق لمكتب التنسيق للجامعات الحكومية أو تقديمها للالتحاق بإحدى الجامعات الخاصة فضاعت علي هذه السنة

وبعد مدة ليست بقصيرة اقترحت علي أحد أعمامي أن يبحث لي عن عمل لدي أي من معارفه لأن الجلوس في المنزل أصبح لا يُطاق و أن كل زميلاتي و زملائي في عامهم الجامعي الأول و انقطعت عن مجاراتهم

و بالفعل قدمني عمي إلي شركة فرنسية كبري تعمل في مصر في مجال المصاعد الكهربائية و كنت أتقن الفرنسية تحدثا و كتابة أن عينت سكرتيرة مساعدة للسكرتيرة الرئيسية للمدير العام بمرتب ثمانين جنيها شهريا

8

إن العمل كسكرتيرة في نظر البعض يعتبر عملا ضعيفا وغير مثالي و لا يتطلب مهارات كبيرة ، و لكن بالنسبة لي كانت السكرتيرة و خصوصا في شركات الأجانب و الذين يعون ما هي أهمية السكرتيرة للشركة كان عملا مهما جدا و تقوم مثل تلك الشركات علي كتف طقم السكرتارية و مدي دقتهم و إتقانهم لعملهم، كانت السكرتيرة الرئيسية سيدة في آخر الأربعينات من عمرها مسيحية متدينة و ليست متزوجة ، احتضنتني و اعتبرتني ابنة لها وعلمتني أصول المهنة و إن كانت تُلِّح علي دائما أن أكمل تعليمي حتي أثقل الموهبة التي أعطاني الله في الذكاء و سرعة البديهة علمتني كيف ألبس في العمل و كيف أمتص غضب المديرين و أن أكون أول من يحضر إلي المكتب نهارا و آخر من يمشي منه ليلا ، علمتني كيف أتعامل مع الزملاء الرجال قبل العملاء من تلك النوعية اللزجة التي تعتبر السكرتيرة ما هي إلا عشيقة المدير و متاحة للجميع،،

و تعلمت منها حتي أنه بعد سنة واحدة و كانت تعدني لهذا قدمت استقالتها بسبب أنها تريد أن تستريح و أنها قد جهزتني حتي أحل محلها و قد كان و ارتفع مرتبي فجأة إلي المائتين و خمسين جنيها و كان أعلي من أغلب مهندسي الشركة

أحببت عملي جدا و شعرت فيه بتغير الكثير و الكثير في شخصيتي و إحساسي بالمسؤولية و مدي قدراتي و مواهبي فيه

و دخلت معهد سكرتارية التابع للجامعة الأمريكية بالتحرير تنفيذا لرغبة مديرتي السابقة و إلحاحا من أمي لتنفيذ وصية أبي أن أكمل تعليمي و أن أكون مثل كل إخوتي ، و كان المعهد في ذلك الوقت

مـن المعاهـد العليـا التـي تـدرس لمـدة عامـين كاملـين و لـه مكانتـه و ليـس مثـل الآن

و كنـت مازلـت عـلي قـوة العمـل لم أتركـه ، فقـد كنـت أذهـب إلي المعهـد يومـين فقـط بالأسـبوع سـاعات قليلـة و أرجـع إلي شركتـي بالدقـي أمـضي فيهـا باقـي الْيَـوْمَ إلي الثامنـة مسـاء لأرجـع منـزلي في مـصر الجديـدة فـآكل و أخلـد إلي النُّـوَّم مبـاشرة ، لم يكـن لي في هـذه الأيـام سـوي عمـلي فقـط حتـي أغلـب اجتماعـات العائلـة أحضرهـا نصـف نائمـة و غـير مهتمـة لمـا يقولـون أو يفعلـون فقـد كان تفكـيري كامـلا في عمـلي و مشـاكل الشركـة و العمـلاء و المديريـن

و إن لم يضـف لي المعهـد الكثـير و لكـن كانـت شـهادة في بلـد لا تعـترف سـوي بالشـهادات و إن كانـت الخـبرة و المهـارة جـزء لا يتجـزأ مـن الوظيفـة ، و لكـن بالشـهادة أصبحـت فرصتـي أكـبر في الالتحـاق بـشركات كـبري و كنـت قـررت ألا اعمـل سـوي في شركات أجنبيـة فقـط

في عامـي الأول في العمـل و كان عمـري عشريـن عامـا انتقلنـا بنـاء عـلي إلحـاح منـي عـلي أمـي ، انتقلنـا في شـقة ليسـت بالصغـيرة و لكنهـا شـقة في عـماره فاخـرة في شـارع الحجـاز ، تطـل أيضـا عـلي حديقـة الميريلانـد و لكـن مـن الجهـة المقابلـة ، فهـو مـوازٌ لشـارع نهـرو سـكننا الأول و لكـن يفصـل بينهـما الحديقـة، أمـام العـمارة مبـاشرة كان خـط مـترو مـصر الجديـدة يصـل إلي رمسـيس و كانـت شركتـي الأولي في منطقـه الدقـي و معهـدي في التحريـر ، فكنـت أركـب يوميـا المـترو إلي رمسـيس ومـن رمسـيس نجـد أتوبيسـا خـاص بالشركـة ينقلنـا و كل الموظفـين مـن نقطتـي تجمـع رمسـيس و شـارع للهـرم ، و أيـام المعهـد أذهـب مـن رمسـيس إلي التحريـر بأيـه مواصلـة ، و لأني رفضـت أن اشـتري عربيـة خاصـة بي لخـوفي الشـديد مـن السـواقة و التـي حـاول أبي منـذ كان عمـري سـتة عـشر عامـا تعليمـي و لكنـي لم أحبهـا و لَـم أسـتطع ، فقـد كان منظـر عربـات النقـل الكـبري و

الأتوبيسات تهيئ لي كأنه وحش قرر أن يفترسني ، فقط مجرد رؤيتهم أفزع و أضغط علي أي من المساند تحت رجلي و كدنا نموت ذات مرة و قرر أبي بعدها أن ينسي تعيلمي للسواقة منذ ذلك الحين

بعد أن أصبحت السكرتيرة الرئيسية و معي بنتان سكرتيرتان مساعدتان، أي أنني كنت مديرة و عمري لا يناهز الواحد و العشرين ، كانت شخصيتي في العمل تتسم بالحزم و القوة و إن كنت خارج الشركة أرجع لطبيعتي المرحة المجنونة أحيانا ، كانت الإدارة الأجنبية كلها تعتمد علي و لَم يندموا يوما فقد أمسكت زمام الأمور كلها و كأني مديرة كل الإدارات ،

و بعد عام آخر زاد مرتبي ليصبح بالفرنك الفرنسي و كان يعادل ما قيمته ثلاثمائة جنيه وخمسون جنيه بدل انتقالات و ملابس

- ماما، أنا نفسي افتح دفتر توفير

- توفير شنو يا ايمان ، هو انتي محتاچه قروش يا بتي ، خير ابوكي مغرقنا

- لا يا ماما أنا عارفه يا حبيبتي ، أنا بس نفسي احس أني بشتغل و الشغل دا ليه فايده ومش عاوزه اصرف كل اللي باخده ، يعني اعتبريني بحوشه

- حوشييهو معاي

- ماهو يا ماما علشان الدفتر بيكون متأيد فيه كل حاجه و بالتاريخ علشان متلخبطش، و حياتي عندك أنا نفسي يكون عندي دفتر

- طيب بس تچيبهو لي انا بشلو ليكي معاي، و كمان علشان ما تصرفي في حاچات ما ليها لازمه ، لازم أكون عارفه بتصرفي في شنو بتؤدي قروشك وين ولا شنو

- طيب خلاص اتفقنا، بكره لما اقبض أول الشهر هحط تلتوميت جنيه وامشي أنا ب خمسين ، شلن في آليوم رايح جاي المترو ، ولو مره

حبيت آكل بره ولا حاجه،. دا كمان هيفيض

- يشملك حبيبتي يسوع بعينه ورعايته إليك

- يللا نقوم نحضر العشا سوا زي ما كان ميتو حبيبي بيعمل معاكي

- حبيبي جلبي قدرشنو ايه وحشني ، أنا نفسي أچوزك يا ايمان علشان اروح ليهو بجد ، انتي معطلاني عنه

- شكلك ما ح تروحي ليهو خالص

رديت عليها بالسوداني مثل حكيها و أنا أضحك وبداخلي أفكر

فعلا لم أتخيل نفسي في بيت لزوج أو أما لأطفال ، فقد سيطر علي العمل كليا و كنت أفرح بنجاحي و تقدير مديري،. و كنت أفرح بالرقم في دفتر التوفير وهو يزداد شهرا بعد شهر

و إن حدث أنه بعد عامين أبلغني مديري أنهم سوف ينهون عملهم في مصر بعد أربع سنوات تعسفا و بيروقراطية من الحكومة بعد أن صنعوا فرقا في السوق المصري و لكن مجهودهم يسرق أمام أعينهم و أنهم مضطرون أن ينهوا الأعمال كلها و يعودوا إلي فرنسا، و كان عرض مسيو فيليب كريما جدا إنه عرض علي ضعف المرتب ثلاثة أضعاف و أن أذهب معهم لأنه كما قال لن يستطيع الاعتماد علي أحد مثلي و لن يجد

كم تمنيت أن أسافر إلي فرنسا و لكن كيف أترك أمي وحدها و إن كان نصف إخوتي سافروا للخارج و الباقون لهم بيوتهم و أعمالهم و لا نراهم هم و أولادهم سوي مرة كل أسبوع

حزنت حزنا جما علي إنهاء الشركة مصالحها في مصر و لَم أتخيل نفسي جالسة في المنزل

- ايمان

- نعم مسيو فيليب

- لقد رشحتك للعمل بإحدى الشركات الإنجليزية التي تعمل في

مجـال البـترول، إنهـا شركـة كـبري و أنـا أعـرف رئيـس مجلـس إدارتهـا وأرسـلت لـه صحيفتـك و سـيرتك الشـخصية مـع توصيـة شـديدة

- شكرًا جزيلا مسيو فيليب ، و لكني لن أجد مثلك أبدا سيدي

- سـوف نكـون عـلي اتصـال دائمـا و إذا حـضرتي يومـا إلي باريـس سـوف أكـون في غايـة السـعادة

لم يمـض شـهر حتـي كنـت أبـدأ عمـلي في الشركـة الإنجليزيـة الجديـدة و التـي لم أعلـم أنهـا سـوف تكـون محطـة تغيـير حيـاتي كلهـا

9

كانت الشركة في منطقة المهندسين و عينت علي نفس المسمي الوظيفي (السكرتيرة التنفيذية للشركة) و بنفس المرتب و لكنها كانت شركة أكبر حجما مما كنت فيها و بها الكثير من الموظفين و كنت قد أتممت أربعة وعشرين عاما و كنت أعتبر في هذا الوقت من العوانس اللاتي فاتهن قطر الزواج و لكني لم أكن أهتم

الشركة كانت تعمل في مجال الكشف عن البترول و يوجد لها مواقع في البحر الأحمر لاستكشاف البترول و المهندسون المسؤولون عن الموقع يأتون مرة كل أسبوعين لعقد اجتماع مع المدراء و باقي طاقم المكتب من مختلف الإدارات و المدرين الأجانب يحضرون خمسة أيام فقط فقد كانت الشركة أجازة يومي الجمعة و السبت و كان هذا نظاما جديدا غير مطبق سوي في الشركات الأجنبية فقط

و لما كنت السكرتيرة التنفيذية للمدير العام فقد كنت أتعامل مع جميع موظفي الشركة من الساعي حتي نائب المدير و أحظي بثقة و احترام الجميع ،

لم أكن أقبل خروجات ما بعد العمل مع مجموعة من الموظفين في البداية و لكن بعد إلحاح بدأت أخرج معهم في الزمالك أو المهندسين ساعة أو ساعتين علي الأكثر و أتحجج بأن سكني بعيد و لما عرض علي من بعض الزملاء أن يوصلوني بعرباتهم كنت أرفض رفضاً تاماً

كان الزملاء أغلبهم شبابا بعضهم متزوج و الآخر أعزب و حاول معي المتزوج و الأعزب وباءت محاولاتهم بالفشل ، و إن كنت بعد فترة عرفت أنهم أطلقوا علىّ فيما بينهم لقب الشاويش ايمان

و فِي يـوم و كان قـد مـر عـليّ أربعـة أشـهر في العمـل دعـوت الجميـع لاجتـماع بنـاء عـلي طلـب المديـر ليعرفنـا عـلي بعـض مهنـدسي المواقـع الجـدد كانـا اثنـين شـبابا حديثـي التخـرج أحدهـما مسـيحي

- فرصتك بقي و جت لحد عندك ، اسمه وجيه و هو وجيه فعلا

- أنا مابفكرش في الجواز دلوقت خالص يا مني صدقيني

- صدقينـي انتـي الجـواز دا نعمـة ، اسـأليني أنـا ، أنـا وعمـرو حبينـا بعـض مـن واحنـا في الجامعـة و اتخطبنـا و بنشـتغل ليـل نهـار علشـان نفـرش بيتنـا ، لعلمـك أنـا أول مـا اتجـوز هقعـد في البيـت معـززة مكرمـة ، آه يـا اختـي كفايـة عـلي شـغل كـده ، اشـوف بقـي نفـسي وادلـع

- ربنـا يوفقكـم يـا حبيبتـي و احـضر فرحكـم عـن قريـب ، عمـرو ابـن حـلال أوي و بيحبـك ربنـا يخليكـم لبعـض

انصرفـت منـي إلي مكتبهـا و جلسـت إلي مكتبـي أنهـي بعـض الأعـمال حتـي وجدتـه واقفـا أمامـي

- مدام ايمان ؟

- لا آنسه ايمان ، أأمر

- أنا فريد المهندس الجديد

- آه مانا عارفه حضرتك

- مسـتر جـون قـالي انـك المسـؤولة عـن ترتيبـات جـدول البريمـة في ابـو زغيـب

- مظبوط

- طيـب ممكـن اسـتأذنك تخليـلي الشـغل تـلات أسـابيع بحـر و أسـبوع أرض

- ليه كده يا باشمهندس ، ما أسبوعين و أسبوعين أحسن لك

- لا سـمعت ان كـده البـدلات بتزيـد حـوالي ٣٠٪ عـن أسـبوعين و أسـبوعين

- آه علشان البدلات يعني

- لا لا طبعا خالص ، أنا بس بحب الشغل اوي ومش عاوز ابقي في القاهرة أكتر من أسبوع

- حاضر يا باشمهندس هظبط لحضرتك الجدول و بكره هتلاقيه بالتواريخ

- و انتي ساكنه فين

- أعتقد دا سؤال خارج نطاق العمل

- آه أنا آسف

و انسحب من أمامي يجر خيبته فقد كان انطباعي الأول عنه غير مبشر و لَم يرق لى نهائياً

وفِي الْيَوْمَ التالي و علي حظه أن حدث عطل مفاجئ في (البريمة) استلزم نزول المهندسين و وجودهم بشكل يومي في مكتب القاهرة لإنجاز بعض الخرائط و الأعمال حتي إصلاح البريمة و عودتهم عليها

- إيه دا يعني أنا هقعد في القاهرة و كمان آجي المكتب كل يوم

- للأسف يا باشمهندس فريد آه و مش عارفين كمان البريمة هتتصلح في وقت اد إيه لأننا بعتنا نجيب لها قطع غيار من بره و هتاخد وقت

نظر إليه وجيه و الذي بدأت ألاحظ نظراته إلي في الذهاب و الإياب

- و المسيح الحي أنا فرحان

قالها و هو يميل علي مكتبي و كأنه يقول لقد بدأت خطة الرسم

- لو سمحتم يا باشمهندسين حجرتكم في الممر علي الشمال و جدول الأعمال موجود علي كل مكتب اتفضلوا

- طيب مَش هنفطر و لا إيه ؟ سأل وجيه و هو يحاول النظر بشدة إلي عيني و لا يسقط عينه عني

- في نص ساعة بريك من ١٢ ل ١٢ و نص و الأفضل انك تفطر في

البيـت قبـل مـا تنـزل حضرتـك

- لا أصل أنا ساكن في مصر الجديدة ، و انتي ساكنة فين

- اتفضـل يـا باشـمهندس وجيـه عـلي مكتبـك لـو أمكـن لأن حضرتـك معطلنـي عـن شـغلي

كل هـذا و فريـد بجـواره لا أعـيره أي اعتبـار و إن كنـت سـمعت وجيـه يقـول و هـما يتحـركان إلي مكتبهـما

- دي طلعت شاويش بجد

بعـد أسـبوعين دعانـا منـي و عمـرو إلي حفـل بمناسـبة عقـد قرانهـما ، لبسـت فسـتانا قصـيرا و وضعـت بعـض الزينـة ، فلـم أكـن منـذ فـترة أهتـم بشـكلي غـير في إطـار العمـل

- إيه الجمال دا كله كنتي مخبيه دا فين ؟

قالهـا وجيـه و هـو يقـف أمامـي فـاردا ذراعيـه و عـلي وجهـه ابتسـامة بلهـاء

- أشكرك يا باشمهندس ، عن إذنك مني بتناديني

- و بعديـن معـاكي يـا ايمـان الراجـل شـكله واقـع واهـو عـلي دينـك و ظروفـه شـكلها كويسـة ، عاوزيـن نفـرح بيـكي بقـي

- ركـزي انتـي بـس في ليلتـك ، أنـا صدقينـي المواضيـع دي مـش في دماغـي خالـص و كـمان وجيـه دا مـش نـازلي مـن زور

- طيـب بـلاش وجيـه تعـالي هعرفـك بحـد و بعديـن ابقـي أحكيلـك عنـه دا صاحـب عمـرو مـن سـنين ، و انـا اعرفـه كويـس

10

فادي

كالعادة عمره خمسة وثلاثون عاما و يعمل في مركز مرموق في وزارة الخارجية ، وسيم ذو بشرة خمرية من أصول صعيدية

تكلمنا قليلا في الأمور العادية و جلست باقي السهرة علي ذات الطاولة بجانبه ، حتي أتفادي لقاء وجيه مرة أخري و إن كنت ألاحظ أنه متابعني بعينه طول الليل

- آنسه ايمان أنا مروح و أعتقد إنك ساكنة جانبي ، تحبي أوصلك انتي و أي زميل تاني لو يحب

عرض علي وجيه في آخر السهرة و أنا أودع مني وعمرو لأفاجأ بفادي يقول

- أنا اتفقت مع ايمان انها هتروح معايا ، شكرًا لحضرتك

أنقذني و خطفني بقوة شخصيته و رغم نظرة وجيه له و لي لحظتها بكل اشمئزاز إلا أني فرحت من داخلي فقد كان وجيه سمجاً للغاية و أريد أن أوقفه عند حده لأن الفترة التي سوف آره فيها في المكتب طويلة حيث أن عطل (البريمة) سوف يطول .

- أنا آسف إني قلت كده بس أنا حسّيت انك مش عاوزه تركبي معاه

- آه فعلا دا حقيقي ، و شكرا جدا انك أنقذتني

- بس أنا مكنتش بكدب أنا فعلا ساكن قريب منك و هوصلك

- لا مش مضطر أنا هاخد تاكسي ، و بعدين انت عرفت من فين أنا ساكنة فين

- مني و عمرو حكولي كتير عنك ، أرجوكي خليني أوصلك الوقت

أتأخـر و ميصحـش تمـشي لوحـدك

و عندمـا هممـت أن أركـب سـيارته الفارهـة لفـت نظـري أن المهنـدس فريـد يرمقنـا بوجـه عابـس عـن بعـد

في الْيَـوْمَ التـالي وجدتنـي ألبـس فسـتانا و ليـس بدلـة كاملـة كـما كنـت أعتـاد في أيّـام العمـل و أضـع بعضـا مـن مسـاحيق التجميـل فقـد كنـت عـلي موعـد بعـد العمـل مـع فـادي كـما اتفقنـا في الليلـة السـابقة

- ايمان ممكن نتقابل بكره

- ليه ؟

- بصراحة أنا عاوز أعرفك أكتر و محتاج تديني من وقتك لو أمكن

لم ينتظر ردي

- بكـره بعـد الشـغل هنتظـرك ناخـد فنجـان قهـوة سـوا في أي مـكان تحبيـه

ليلتهـا لم أنـم ، فقـد كنـت نسـيت إحسـاسي كفتـاة تحـب الحـب و انخرطـت في العمـل بشـكل مبالـغ فيـه

فـادي يبـدو عليـه أنـه مناسـب و قـد حـان الوقـت لأتـزوج فقد سـئمت ضغـط أمـي و إخـوتي و باقـي العائلـة

- كل اللي في سنك معاهم عيال دلوقت

- ليه يا حبيبتي قاعدة من غير جواز

- شوفي كده يا زيزي ليكون حد عامل لها عمل موقف سوقها

- يا بنتي أنا عاوزه أطمن عليكي أنا مش قاعدة لك العمر كله

- شغل إيه اللي يشغلك عن الجواز و انك تعملي بيت و أسرة

و هكذا من أقوال اعتدت أن أسمعها الثلاث سنوات الأخيرة

بعد مقابلتي لفادي و حديثنا في أمور شتي فوجئت به أن قال

- ايمـان أنـا معجـب بيـكي و عـاوز آخـد معـاكي خطـوات جديـة أنـا مـش جـاي اصاحـب و لا امـشي معـاكي ، بـس في حاجـة مهمـة لازم اقولهالـك ،

أنـا كنـت متجـوز و طلقـت مـراتي مـن سـنة ، و عمـرو صاحبـي مـن زمـان و عـارف القصـة كلهـا

- طيب ليه مني مقالتليش،

- مجتـش فرصـة و كانـت بصراحـة خايفـة مـن رفضـك مـن قبـل مـا تشـوفيني

- ليه؟

- لا أصل أنا اتجوزت فترة قصيرة جدا و اتطلقنا

- هي كانت زانية

- لا طبعا ، ليه بتقولي كده

- علشان دي الحالة الوحيدة اللي يحق لينا الطلاق فيها

- لا أنا طلقتها بحكم محكمة

- يعني الكنيسة متعرفش

- لا

- تبقـي أنـت لـو مسـيحي فعـلا تعـرف انهـا لسـه مراتـك و مطلقتهـاش و لا حاجـة

- لا يا ايمان مكنش ينفع نكمل سوا

- (اذا ليـس إنسـان بعـد اثنـين بـل جسـد واحـد، فالـذي جمعـه اللـه لا يفرقـه إنسـان) متـي (٦:١٩)

- للأسف مش كل الظروف تسمح اننا نطبق الدين بحذافيره

- لا طبعـا أي حاجـة تغضـب ربنـا و التعاليـم الـلي اتربينـا عليهـا مينفعـش نختـار منهـا بمزاجنـا إيـه ناخـده و إيـه نسـيبه ، مراتـك هتفضـل مراتـك حتـي لـو المحكمـة حكمـت لـك بغـير كـده ، و أنـا مينفعـش اكمـل معـاك في أي علاقـة ميكونـش آخرهـا الجـواز لأنـك متجـوز

في الْيَـوْمَ الثـاني وجـدت منـي و عمـرو منتظرينـي في المكتـب و لأن مكتبـي كان في القاعـة الرئيسـية في مدخـل الشركـة فقـد سـمع حديثهـما

بعـض الموظفـين و منهـم فريـد

- انتي هبله دا واحد يترفض و بالطريقة دي
- يا بنتي دا متجوز
- مطلق
- مينفعش عندنا طلاق
- دا هيموت عليكي و معجب بيكي جدا
- خلاص يا مني الموضوع منتهي و سبيني اشوف شغلي بقي
- ودا هيموت عليكي أوي ليه كده يعني ،؟ علي إيه مش فاهم

قـال فريـد فجـأة و بـدون تفكـير ، صدمنـي رد فعلـه و زاد مقتـي لـه بعدهـا

11

و أغلقت علي نفسي مرة أخري و فشلت كل محاولات عمرو ومني بإقناعي فأنا من المستحيل أن اغضب الله ،

كانت علاقتي بالله مستمدة من باب الحب ، اتبع تعاليمه حبا له و ليس خوفا منه ، و إن كنت مقلة في ذهابي إلي الكنسية إلا في الأعياد و إن كنت مازلت أحب الذهاب إلي بيت فاطمة صديقتي يوم الجمعة لأستمع إلي صوت أبيها و هو يقرأ القرآن ، تديني كان في صميم قلبي و لكنه كان يأخذ شكلا غير المعتاد عليه من مسيحية المولد

ذات مرة و كان والد فاطمة يقرأ في سورة مريم كيف قابلت الروح القدس و ماذا فعلت عندما علمت بحملها و كيف قدمت وليدها إلي الناس و كيف تكلم الصغير في المهد ، و لَم تنتبه فاطمة أنني قد سرحت في معاني الكلام و حاولت أن أفهم و أقارن بين ما تعلمت في المسيحية و بين ما أسمع من القرآن

و بدأت في عقد الكثير من المقارنات و بدأت أقرأ الكثير من الكتب في الاتجاهين

و ذات يوم وجدني فريد في غرفة الاستراحة أقرأ في كتاب اسمه (التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم) وهو كتاب من تأليف طبيب فرنسي اسمه موريس بوكاي و لكن الكاتب كان يهتم بالدراسات العلمية و مقابلتها بالكتب المقدسة الثلاثة و الحقيقة أنى تهت في هذا الكتاب بالرغم أني اخترته من المكتبة بعناية و شعرت أنه طالما بالفرنسية و أنه يتحدث عن الأديان سوف يفيدني

- ممكن أسالك بتقرأى إيه ؟

أظهرت له الغلاف في تأفف

- لا الحقيقة مبعرفش فرنساوي
- دا كتاب بيتكلم عن الأديان الثلاثة
- و انتي مهتمة بالموضوع دا في إيه

كدت أن أنهي النقاش بطريقة سيئة و لكن أنقذه مني حضور أحد المديرين لتناول غذاءه فانشغلت في الحديث معه في أمور أخري فاضطر فريد إلي الخروج عائدا لمكتبه

و فِي موعد الانصراف فوجئت به قد وقف بسيارته القديمة جدا أمام باب الشركة و عندما رآني قال

- آنسه ايمان أنا جالي مشوار في مصر الجديدة فقلت استناكي أوصلك معايا و كمان علشان عاوز أقولك علي كذا كتاب بس بالعربي لو تحبي بيتكلموا في موضوع مقارنة الأديان دا

في الحقيقة كنت في هذا الْيَوْمَ أشعر ببعض الإرهاق و كنت أنوي أن آخذ مواصلة سريعة للمنزل فلم أعترض و إن كنت قد فاجأته

- أنا متشكرة أوي علي العرض يا باشمهندس أنا فعلا كنت تعبانة و ناويه آخذ تاكسي
- اتفضلي اتفضلي
- أنا بس هستأذنك إني مش هقدر أتناقش في الكتاب دلوقت ، نخليها مره تانيه ، أنا ساكنه في شارع الحجاز لو أمكن حضرتك تصحيني لما نوصل ميدان روكسي و أنا اشرحلك الباقي

و بالفعل بمجرد دخولي السيارة دخلت في سبات عميق

بدأ وجيه يعرض علي صراحة أن نتقابل خارج العمل و كنت أرفض رفضا قاطعا

- ممكن اعرف ليه انتي بترفضيني بالشكل دا و احنا ولاد معمدانية واحدة ، و اللي مش من دينك وافقتي تخرجي معاه و تركبي عربيته
- لا لحد كده و مسمحلكش و لو كترت في الكلام أنا هاخد معاك

موقف قانوني في الشركة ، مش من حقك تقولي اعمل إيه و معملش إيه ، و انت مالك أصلا اخرج مع مين و أركب مع مين ، الحمد لله البريمة اتصلحت و من بكره هتكونوا هناك

- يا ايمان أنا قصدي ...

- اسمي الآنسة ايمان و مفيش كلام بيني و بين حضرتك اتفضل ،

بكيت كثيرا فأنا و منذ أربع سنوات في عملي لم يتكلم أحد في حقي بسوء و كرهت فريد أكثر فهو بالتأكيد حكي عني للزملاء و كيف أنني قد خرجت معه هو و بالتأكيد قال أكثر من هذا

أعطيت لإنجي مساعدتي الشخصية جدول المهندسين الذين سوف يكونون علي عملهم بالبحر من باكر و قدمت لمديري أجازة يومين فأنا أشعر بغضب جم و إرهاق شديد و فعلا أحتاج أن أجلس يومين بلا عمل

- أهلًا فاطمة تعالي ،

- كلمت طنط زيزي اطمن عليكي قالت لي انك نايمه في أوضتك من امبارح و مروحتيش الشغل قلت آجي اقعد معاكي شويه

- هفتح الشباك بعد إذنك و أهوي الأوضه شويه ، ريحة السجائر معبآها، و شكل عينك بيقول انك سهرانه لوش الفجر، مالك في إيه كعادتي في مثل هذه الأسئلة فاجأتها

- فاطمة انتوا صحيح بتقولوا علينا كفرة و هندخل النار

فتحت عينيها علي مصراعيها و سكتت ثواني قبل أن ترد

- بصي انتي صاحبتي من كام سنة و بحبك اد إيه ، ليه بتقولي كده

- لا دي مش إجابة علي سؤالي ، انتوا دينكم بيقول علينا كفرة ، انتي أبوكي شيخ في الأزهر و أكيد فاهمة دينكم بيقول علي المسيحيين إيه ، بيقول اننا هندخل النار و انتوا بس اللي هتدخلوا الجنة ؟

و كأني أوجدت لها الحل

- طالما انتي ذكرتي بابا في الحوار فهو أحسن واحد يرد عليكي في سؤالك دا

- طيب هو موجود في البيت النهاردة

- آه موجود

- طيب أنا هأقوم البس و نروح له

و لَم أعطها فرصة القبول أو الرفض

و ذهبنا إلي بيت فاطمة و كلام أبي يتردد في أذني ، (المسلمين بيكرهونا و بيكفرونا)

كانت أول مرة أري والدها الشيخ محمد الشافعي شيخ الأزهر الجليل ، كنت من قبل أسمع صوته فقط يتلو القرآن في حجرته و لَم أره أبدا

عرفتني فاطمة عليه و حكت له علي ما دار بيننا منذ قليل ، رحب بي بابتسامة جميلة علي وجهه المضيء بنور صافٍ و لحية صغيرة مهذبة و جلباب أبيض ناصع ، تنهد تنهيدة ذكرتني بأبي و هو يبدأ إقناعي بشيء ما

- ممكن الأول أسالك انتي ليه بتسألي السؤال دا ؟

- أبدا أنا عندي تساؤلات كتير و عندي لخبطة جامدة جوايا فكذا حاجة ، و فعلا عاوزه اعرف انتوا بتقولوا علينا كده

- طيب يا بنتي أنا هجاوبك

و قبل أن يتكلم بانفعالية قلت له

- الأول بس أنا عاوزه أقول لحضرتك إني مسيحية متدينة ، بحب ربنا و مش بعمل أي حاجة تغضبه ، بعمل خير كتير و بعيده عن كل المعاصي ، أدخل بقي الجنة ولا هدخل النار ؟

- طيب انتي منفعلة ليه كده أنا هجاوب أهو

و الغريبة أنه اعتدل في جلسته و وضع رجليه مربعاً علي الكرسي

ليأخذ وضعا مريحا ليتحدث بكل ثقة كما فعل أبي من قبل معي ، قائلا

- لو انتي مسيحية علي حق بتتبعي تعاليم المسيح عيسي بن مريم بحذافيرها إن شاء الله تدخلي الجنة طبعا ، سيدنا عيسي عليه السلام قال (و تعرفون الحق ، و الحق يحرركم)، سيدنا عيسي كان بيدعو الناس إنهم يآمنوا بربنا و يسمعوا كلامه و نبأ بنبي من بعده و كتاب خاتم، سيدنا عيسي و أمه كانا عُبَّاد الله مخلصين ، و أوفا أجرهما ، أمر بالعدل و الإحسان و الإخلاص والتسامح ، دي تعاليم سيدنا عيسي عليه السلام ، و لكن و لكن انتبهي يا بنتي لكلامي ، لازم تفرقي بين تعاليم المسيح عليه السلام و تعاليم الكنيسة اللي اتعلمتي فيها لأنهم مختلفين تماما

بعد أن كدت أتنفس الصعداء و أفرح أسقط في يدي جملته الأخيرة

- يعني إيه حضرتك ، إيه الفرق ما بينهم

- لو كنتي بتتبعي الكنيسة فدخولك الجنة أمر مشكوك فيه و أنا هشرحلك إيه الفرق ما بينهم ، انتي طبعا قريتي الإنجيل ؟

- طبعا

- و الإنجيل مكتوب فيه إن المسيح هو الله ؟

ترددت في الإجابة فقال

- طب بلاش المكتوب انتي اقتناعك الشخصي ان المسيح هو نفسه الله الخالق الذي أوجد الوجود من العدم و خلقنا كلنا

- الحقيقة أنا محتارة في الموضوع دا من و أنا صغيرة و سألت فيه لكن أبويا و قسيس كنيستنا أقنعوني ساعتها ، بس أنا حاليا رجعت أفكر في الموضوع دا تاني و لسه مشوشة مش قادرة افهم

- سيبك من الفهم لأن دي حاجة اتغرست جواكى ، أنا بسأل علي اعتقادك انتي الشخصي ؟ انتى اد فاطمة صح ؟ يعني عندك تقريبا ٢٥

سنه ، طول العمر دا انتي مقتنعة ان المسيح إله ؟

- ايوه

- بصي يا بنتي سيدنا عيسي عندنا يسمي من الرسل ذوى العزم يعني احنا المسلمين إسلامنا ميكتملش لو مصدقناش في سيدنا عيسي، فربنا بيقولنا في سورة البقرة (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير) صدق الله العظيم، المسيح يا بنتي رسول الله جاء بمعجزات من صنع الله خالقه و خالقنا و بأمره ، المسيح كان مسلما عارفه يعني إيه مسلم يعني الإسلام معناه السلام و التسليم ، السلام ما بين البشر ودا اللي المسيح في أغلب تعاليمه كان بيحاول يعمله و يعلمه للناس و التسليم أي يسلم أمره لربنا ، فلو انتي اتبعتي تعاليم المسيح زي ما احنا كمسلمين بنتبعها مش هيكون عليكي أي غبار ، المشكلة كلها تكمن في اعتقادك ان المسيح إله ، حاشا لله ، هو رسول كريم عليه و علي أمه السلام ،،

- طيب حضرتك شايف أنا اعمل إيه دلوقت ؟

- لا يا بنتي أنا مقدرش أقولك تعملي إيه و متعمليش إيه ؟ دا قرارك انتي لوحدك ، و زي ما سمعتي مني اسمعي من غيري و غيري، و اقرأي و افهمي الأول و بعدين قرري انتي عاوزه تتبعي مين و ليه و إزاي ، و افهمي كويس أوي لأن اللي انا قلتهولك اعتقادي أنا كمسلم و دارس دين كويس ، و كمان لما تسألي أيا من الأخوة المحترمين من القساوسة و الرهبان اللي الأكيد برضه ح هيكون رجل دين و برضه دارس كويس ممكن يرد عليكي طبعا من وجهة النظر الأخري

يبقي انتي كده قرارك انتي في الآخر ، أو اللي يرتاح له قلبك لو حبينا نقول صح ، فهمتيني يا بنتي

طلعت من بيت فاطمة مباشرة علي الكنيسة التي بنفس منطقة سكننا ، كنيستي منذ الصغر و أغلب القساوسة هناك يعرفونني ، و ما أن وطأت قدمي مدخلها حتي أحسست أني أتنفس بشكل جيد و أن صدري قد انشرح فبالداخل هناك سلام نفسي و رائحة محببة اعتدت عليها و هدوء و صفاء في الأجواء ، جلست علي أحد المقاعد أنظر إلي الهيكل و من خلفه صور السيد المسيح و تلاميذه و الألوان علي الجدران و الأشكال الهندسية من خشب الصندل ذى الرائحة النفاذة و لا أعلم تحديدا ماذا أفعل ، حتي فوجئت بيد حانية ترتب علي كتفي

- ايمان
- ابونا إسكندر
- ازيك يا بنتي ، و إزي الست والدتك و إخواتك ؟
- نشكر ربنا كلنا بخير
- قوليلي إيه ال اللي محيرك كده ؟
- و حضرتك عرفت من فين إني متحيرة
- طيب تعالي نقعد في الجنينة بره ، دلوقت ساعة عصرية و الجو بديع

خرجت مع ابونا إسكندر و لَم أكن أعرف تحديدا ماذا أسأله أو ماذا أقول و لكنه كان رجل دين متسامح يطبق أقوال المسيح و ليس متشددا من هؤلاء الذين نسمعهم في خطابهم منفعلين متحاملين علي الدولة في أنهم مهضوم حقهم لأنهم أقلية أو من هؤلاء الذين يكرهون الإسلام و المسلمين ، فوجدت أن هذا مدخلا مناسبا لبداية الحديث

- ابونا أنا دائماً بسمع لك في عظاتك انك متسامح و محب للمسلمين و غير ناقم عَلِي وضعنا كأقلية
- يا ايمان التسامح من أعظم الدروس اللي علمهالنا السيد المسيح ،
- طيب هو فين الاختلاف ، يعني ليه احنا مختلفين مع المسلمين،

و ليه احنا بنعتبر في نظرهم مصيرنا النار و احنا كمان بنعتبرهم مخطئين لأنهم مش بيتبعوا ديننا

- لا يا بنتي الكلام ميكونش بالشكل دا ، احنا بنتكلم عن موضوع شائك اتكلم فيه ُناس قبلنا بآلاف السنين و لسه هيتكلم فيه ناس بعدنا ، لكن دا ميمنعش انك تسألي و أنا أجاوبك و إن كان الكلام في النهاية ممنوش فايدة أوي لأن كل فرقة لها مرجعيتها و أدلتها و طرق كتير في إقناعها ، دا لو كان حد مسلم بيناظر حد مسيحي و لنفترض ان الاثنين من مستوي ثقافي واحد لأن فيه في كل فرقة المتزمت لدينه و الوسطي المعتدل و صاحب الدين بالوراثة ، فلو كان الاثنين ذوى مرجعية ثقافية واحدة لو قاعدة للصبح لا دا هيقنع دا ولا دا هيقنع دا ، بالنسبة ليكي انتي و مش هسألك ليه بتسألي لأن دا من حقك. خصوصا اننا عايشين محاطين باخواتنا و أصحابنا المسلمين في كل مكان ، يا ايمان يا بنتي احنا وهما بنقول إن الله واحد هو اللي خلقنا و مصيرنا ليوم نهاية محتوم ، و لكن احنا عندنا في عقيدتنا أن الله و المسيح و الروح القدس شيء واحد و ليس ثلاثة كما يتهمنا المسلمون و ليكن مثالا بسيطا ، تقتدري تقوليلي إيه الفرق بين الميه و البخار و الجليد، هم نفس الشييء بس بشكل مختلف ، صح ؟ الشمس القرص و الحرارة و النور ثلاثة أم واحد ؟ إن ملخص تعليم الكتاب المقدس في هذا الموضوع هو أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط و مع ذلك لكل من الآب و الابن و الروح القدس صفات اللاهوت و حقوقه و من نصوص الكتاب علي وحدانية الله (أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل) (يعقوب ١٩:٢) و من وصايا الله العشر التي تتضمن خلاصة الناموس الوصية الأولي و العلمي منها هي (لا يكن لك الله أخري أمامي) و حاجه تانيه كمان يا بنتي إن الأب و الابن و الروح القدس غير إنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة و المجد إلا إنهم أقانيم ممتازون الواحد عن الآخر

و أن لـكل منهـم تميـزا في الوظائـف و العمـل ، لأن الكتـاب المقـدس يعلـم أن الأب يرسـل الابـن ، و أن الأب و الابـن يرسـلان الـروح القـدس ، و لَـم يذكـر قـط أن الابـن يرسـل الأب ، و لا أن الـروح القـدس تسـتطيع أن ترسـل أيـا منهـما، فـإن قيـل أن هـذا التعليـم فـوق إدراكنـا قلنـا ذلـك لا يفسـده ، كـما أنـه لا يفسـد مـا شـاكله مـن الحقائـق العلميـة و الدينيـة ، و إن قيـل أن جوهـرا واحـداً ذَا ثلاثـة أقانيـم محـال ، قلنـا تلـك دعـوة بـلا برهـان و أن عقولنـا القاهـرة لم تخلـق مقياسـا للممكـن و غـير الممكـن مـما فـوق إدراكهـا .

ديننـا يـا ايمـان ديـن محبـة و سـلام و تسـامح ، و إنجيلنـا لم يحـرف كـما يدعـي البعـض. و الأولى لهـم أن يسـألوا لمـاذا يحـرف و لمصلحـة مـن و كيـف ؟ و أيـن دليلهـم عـلي تحريفـه و هـم أنفسـهم يتخـذون منـه بعـض استشـهادهم المخطـئ بالطبـع ، لأنهـم بياخـذوا نـص الـكلام الـلي يناسـبهم و يتركـوا باقـي النـص و كـمان يعترضـوا عليـه ، فـكلام اللـه و تعاليمـه محفوظـة بحفظـه ، فقـد أوصي اللـه المؤمنـين عـلي مـر العصـور بـأن كلامـه الموحـي بـه نافـع للتعليـم، و التوبيـخ للتقويـم و التأديـب.. مثـل مـا قـال (لا تزيـدوا عـلي الـكلام الـذي أنـا أوصيكـم بـه و لا تنقصـوا منـه لـكي تحافظـوا وصايـا الـرب إلهكـم التـي أنـا أوصيكـم بهـا) (سـفر التثنيـة ٢:٤)

و كـما قـال (كل الـكلام الـذي أوصيكـم بـه احرصـوا لتعلمـوه ، لا تـزد عليـه ، و لا تنقـص منـه) (تثنيـه ٣٢:١٢)

(لم تـأتي نبـوة قـط بمشـيئة إنسـان بـل تكلـم أنـاس اللـه القديسـون مسـوقين مـن الـروح القـدس) ٢ بطـرس ١٢:١

فهل يعقل بعد هذا أن يصدق إنسان بتحريف أي من كتاب الله

و لـو عـلي سـؤال لمـاذا هـم أربعـة أناجيـل و انتـي تعلمـين أن معنـي إنجيـل أصـلا باللغـة اليهوديـة هـو (الأخبـار السـارة) و هـذا مـا أطلقـوه عـلي العهـد الجديـد لأنـه كلـه ملـئ بالأخبـار السـارة فقـد شـاء اللـه أن

يسجل سيرة المسيح في أربعة كتب دونها أربعة من أتباعه المعاصرين له بإيحاء من الروح القدس ، فحصلنا علي بشارة الخلاص المفرحة ،إنجيل واحد بتعليم واحد وحقيقة واحدة مسجلة بأربعة أساليب إنشائية و أدبية مختلفة ،

و عن سؤالك الأخير و لماذا أرسل الله ولده يتجسد في صورة بشر و يعذب ليفدينا و يخلصنا من آثامنا و خطايانا، فقد قال الرب

(هكذا أحب الله العالم حتي بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يُؤْمِن به ، بل تكون له الحياة الأبدية)

و الكتاب المقدس يوضح أن يسوع المسيح قد مات من أجل خطايانا (فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا : إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب و أنه دفن و أنه قام في الْيَوْمَ الثالث حسب الكتب (كورنثوس الأولي ٣:١٥) ودا من رحمة ربنا بينا يا ايمان ، ها يا ستي عندك أي أسئلة تانية أنا تحت أمرك

- لا يا ابونا شكرًا لحضرتك

- طيب تعالي معايا مكتبة الكنيسة هديكي كام كتاب برضه مهمين جدا و اقري فيهم هيفسرولك كتير من الأسئلة و يوضحولك اكتر

آخذت الكتب و رجعت إلي حجرتي و وضعتهم بجانب سريري الذي يتحوط بصنعة أبي من الأخشاب المنارة لتماثيل السيدة العذراء و السيد المسيح ، و وجدتني آخذ التمثالين و أحتضنهما بشدة و أنخرط في بكاء مرير، فأنا أحب السيد المسيح و أمه السيدة مريم العذراء حباً جماً و أخشي أن أكون أغضبهما بشكوكي هذه

12

بعد مرور حوالي الأسبوعين و كنت قد رجعت إلي المكتب و مارست عملي بكل نشاط و خصوصا عندما حلت مشكلة البريمة و ذهب معظم المهندسين إليها ومنهم فريد و وجيه الذي حمدت الله علي إراحتي منهم هم الاثنين

و كنت مازالت في فرحتي حتي استقبلت رسالة برقية علي جهاز إرسال الصور والمواد المطبوعة (الفاكس) بإصابة المهندس فريد علي إحدي الرافعات و حدوث كسر بإحدي قدميه و أنه في الطريق بإحدي الطائرات الهيليكوبتر التابعة للشركة إلي إحدي المستشفيات بمنطقة المعادي و أن علينا تدبير الأمر

اتخذت اللازم و أبلغت الإدارة التابعة لي و كذلك أبلغت المستشفى و حاولت أن اتصل برقم الهاتف المنزلي المقيد بالملف الشخصى له فلم أجد أي رد ،

مما استدعي أن أذهب بنفسي إلي المستشفى لأكون في استقباله و الحرص علي عمل كل اللازم لتحسن وضعه النفسي و الاطمئنان علي وضعه الصحي و ما يترتب عليه متي يستطيع أن يزاول عمله علي البريمة مرة أخري

- ألف سلامة عليك يا باشمهندس

- شكرًا يا آنسه ايمان ، أنا متأسف تعبتك معايا أنا عرفت انك بقالك ساعة هنا علشان تظبطيلي الأوضة و الدكاترة و كده

- أنا حاولت اتصل كذا مرة بالنمرة اللي في الملف لكن محدش بيرد

- معلش أنا هبقي أكلمهم

- طيب قولي حضرتك أكلم مين وعلي أي رقم وانا اطلب من سنترال المستشفى يوصلونا بيه

- لا كتر خيرك متتعبيش نفسك اكتر من كده ، أنا كويس الحمد لله بعد ما جبسولي رجلي و هقدر أتكلم ، اتفضلي انتي كتر خيرك علي اد كده و متشكر أوي الوقت اتأخر و انتي مشوارك بعيد

كان في ضعفه شخصا آخر ، غير لمحة الحزن التي رأيتها في عينيه عندما أخبرته أنه لا أحد يرد علي رقم الهاتف

عدت إلي عملي في الْيَوْمَ التالي لأجد رسالة مسجلة من المستشفى لإعادة الاتصال بهم للضرورة

و علمت من المستشفى أنه لا أحد قد جاء له منذ دخوله و أن عليه الانصراف بعد سداد المبلغ المستحق لإدارة المستشفى ، و كان موظفي الشركة تحت نظام التأمين الصحي التابع للشركة الأم بإنجلترا و اليوم الأحد أجازة عندهم فاضطررت أن آخذ من مالي الخاص و الذهاب إلي المستشفى لإنهاء إجراءات خروجه

- أنا متأسف ليكي و الله يا آنسه ايمان ، أنا أصل والدي و والدتي مسافرين و أختي في السعودية مع جوزها و معرفش ان المستشفى كلمت الشركة إلا لما لقيت حضرتك جيتي بنفسك و دفعتيلي الفلوس

- لا خالص مفيش أي مشكلة ، أصل الأستاذ عبد الخالق المدير المالي و المحاسب في البنك من الصبح بيخلصوا شوية شغل ومكنش فيه غيري

- متشكر جدا و الله تعبتك معايا

- لا خالص بكره أنا هسترد الفلوس لما أتواصل مع شركة التأمين و ابعت لهم الفواتير بتاعت المستشفى ،

- متشكر جدا

- طيب هو في حد يساعدك توصل البيت

- أنا ساكن هنا في المعادي ، قريب من هنا ، هاخد تاكسى و أكون في البيت

- طيب أنا ممكن أوصلك و ارجع المكتب بنفس التاكسي

- مش عارف أقولك إيه بصراحة ، دا كتير و الله

أوصلته إلي منزله و ساعده حارس العقار بنزوله من العربة و استغربت أنه لم يعرض أن يدفع حق أجرة السيارة و لكن أرجأت أنه ربما يشعر بالتعب و لم يكن في باله

بعد أسبوع فوجئت به يأتي إلي الشركة و هو ممسك بعكاز يستند عليه و قد أحضر لي باقة ورد صغيرة عليها كلمة شكر و تقدير ، شكرته و وضعت الورد في زهرية و وضعتها علي إحدي الطاولات في صالة انتظار العملاء ، فلم أكن أرغب في الرجوع إلي القيل و القال مرة أخري

و في الْيَوْمَ التالي حضر و معه لفة كبيرة و وضعها في غرفة الاستراحة التي نتناول فيها غذاءنا ، و كان قد انتدب للعمل في الفرع الرئيسي حتي يتم شفاءه و يعود إلي العمل علي الرافعة بالبحر

- أنا لاحظت انك معجبكيش الورد فجبت لك حاجة تانية يمكن تعجبك

- لا أبدا مش معجبنيش و لا حاجة ، و أنا متشكرة أوي مش مستاهله يعني تتعب حضرتك أنا معملتش غير واجبي

- لا و الله انتي عملتي اكتر من اللزوم

- أنا آسفه مش هقبل آخد منك هدايا تاني

- بس دي مش هدية ، افتحيها بس و لو معجبتكيش أنا هاخدها تاني ، دا اقل واجب أردلك بيه جميلك معايا بالمستشفي ، و صدقيني انتى في يوم من الأيام هتشكريني عليها ، دول كتابين بقي بكل الكتب اللي في الدنيا اللي هتقدري تفهمي منهم بشكل مريح و سهل و واضح

كل اللي عاوزه تفهميه

- كتب إيه دى ؟

- تفسير الشيخ الشعراوي للقرآن الكريم ،و الإعجاز العلمي في القرآن للدكتور زغلول النجار

- و مين قال لحضرتك إني عاوزه اقرأ في الدين الإسلامي

- لا أنا لقيتك بتقرأى في الأديان قلت ...

قاطعته بانفعال

- بقرأ في الأديان كلها مش في دين بعينه

- أنا آسف و الله و علي العموم دا سوء فهم مش أكتر ، خلاص أنا هاخذهم واجبلك بدالهم كتب تانية في مقارنة جميع الأديان

تركته و خرجت و تركت الكتب علي إحدي الطاولات و انخرطت في عملي ، و فِي آخر الْيَوْمَ وجدتني و بدون تفكير آخذ الكتب و أذهب بهم إلي المنزل

كنت أغلفهم بغلاف الهدايا التي أتاني بهم فريد في الصباح ، وكأني أحمل خطيئة أخشي أن يراني أحد و أنا أحملهم

أخذت الكتابين و وضعتهما بجوار الكتب التي أعطاني إياها سيدنا بالكنيسة، و احترت بأيهم أبدأ، و لما كانت والدتي تدخل حجرتي لتهويتها و الوقوف بجانب السيدة التي تساعدنا في تنظيفها قررت أن أحتفظ بكتب فريد بالمكتب. أقرأ فيهم في وقت فراغي و كتب سيدنا أقرأها في البيت مساء قبل أن أنام

و الحقيقة أن كتب فريد قد أبهرتني ، و خصوصا الإعجاز العلمي في القرآن فبعده علي الأقل اعتقدت اعتقاد تاما أن هذا القرآن من فعل إله بالتأكيد و ليس مكتوبا علي يد بشر مهما كان ، و أن بعض الاكتشافات العلمية المكتوبة بالنص اكتشفت فقط منذ خمسين عاما أو أقل و هي مكتوبة منذ أكثر من ألف و أربعمائة عام

و كذلـك الكتـب التـي قرأتهـا بالبيـت كان بهـا مـن التفاصيـل و الإشـكاليات و الـردود عليهـا مـا يقنعنـي و خصوصـا و أنـا عـلي علـم درايـة بأغلـب الـكلام المكتـوب

و اشتدت حيرتي أكثر و أكثر ،

13

قـررت أن أعتكـف لمـدة ثلاثـة أيّـام في أحـد الأديـرة البعيـدة و اسـتأذنت راعـي كنيسـتنا أن يرتـب لي خلـوة في الديـر حتـي أسـتعيد تـوازني الداخـلي و أثبـت عـلي دينـي و عقيـدتي

و حـدث أن اسـتقبلتني إحـدي الأخـوات اسـتقبالا هائـلا و أرشـدتني إلي غرفتـي و وعدتنـي بلقـاء في الظهـيرة مـع بعـض الرهبـات و توزيـع مهـام عمـل علينـا لخدمـة الـرب و التقـرب إليـه بالخـير

فرحـت بالديـر فرحـة عارمـة و انـشرح صـدري، و فِي المسـاء صليـت معهـم صـلاة طويلـة مليئـة بالخشـوع و التـضرع و تناولـت عشـاء خفيفـا و خلـدت منـذ فـتره طويلـة إلي نـوم عميـق جـدا

في الصبـاح كنـت أتجـول في الحديقـة و أرعـي بعـض الفتيـات اليتيـمات و أحدثهـن عـن مـدي تحمـل يسـوع مـن عـذاب و أنهـن أحسـن حظـا و كلام مـن هـذا الحديـث لتخفيـف وطـأة إحساسـهن و كنـت ألعـب وأمـرح معهـن و أحسسـت أن هـذه إشـارة لي أن هـذا هـو الديـن الحـق ، ديـن الرحمـة و المحبـة و السـلام

حتـي التقيـت مسـاءً كبـير الرهبـان و الـذي كان يلقـي علينـا درسـا و عظـة فطلبـت مـن إحـدي الأخـوات أسـتأذنه فى أني أرغـب في الحديـث إليـه لأمـر مهـم ، و كنـت قـد علمـت أنـه مقيـم بالديـر منـذ أكـثر مـن عشريـن عامـاً لا يبرحـه إلا قليـلا جـدا ، و حـدث شيء عجيـب قلـب لي كل الموازيـن مـرة أخـري

كان رجـلا أسـمرا مـن صعيـد مـصر تـدل عليـه لهجتـه، ملامحـه هادئـة و بعينـه ذكاء فطـري واضـح ، استرسـلت في الحديـث معـه و بحريـة تامـة و أنـا عـلي مشـارف أن أضحـك مـن نفـسي في داخـلي عـلي هـذا التذبـذب

و التحـير الـذي كنـت فيـه ، و إني بالتأكيـد كنـت مغيبـة بشـكل كبـير، فأنـا مسـيحية الهـوي و الديـن ، كيـف أتـرك نفـسي لمثـل هـذه الأسـئلة و الشـكوك و كيـف أن أيـا مـن الكتـب يؤثـر فيّ كل هـذا التأثـير الـذي يتنـافى مـع مـا تعلمتـه عمـرا كامـلاً ، كنـت أتحـدث مـع سـيدنا بأريحيـة كبـيرة و لَـم أخـف عنـه أيـا مـن شـكوكي و كنـت في طريقـي لأن أعـترف أمامـه بذنبي الـذي أشـعر بـه الآن ألا و هـو كيـف دخلنـي هـذا الشـك و أني أريـد أن أبـرأ منـه و قبـل أن أنهـي كلامـي معـه بهـذا ،

، وجدتـه و بـكل هـدوء و بعـد أن سـمعني و باسـتفاضة يقـترب منـي و يقـول بصـوت خفيـض

- و مـن يتـق اللـه يجعـل لـه مخرجـاً و يرزقـه مـن حيـث لا يحتسـب ، اصـبري و رابطـي .

- نعم ؟؟

دارت الدنيـا بي و جريـت عـلي غرفتـي اندسـست تحـت الغطـاء أرتجـف بشـدة ، أشـعر أن الدنيـا تـدور بي و أن هنـاك شـيئا يسـتقصدني ، يصعـد بي إلي عنـان السـماء و مـا أن أسـتقر حتـي يهبـدني إلي سـابع أرض و بعنـف

مـا هـذا الـذي سـمعته و كيـف أتأكـد مـن أني سـمعت هـذا ، هـل كنـت أتخيـل ،؟ هـل قـالي لي كبـير الرهـان بالديـر و القائـم بأعـمال رئيـس الديـر و الـذي يجتمـع سـنويا مـع كـرازة البابـا شـنودة شـخصيا و لـه مـا لـه في المجتمـع المسـيحي، هـل يعقـل أن يقـول لي هـذا الـكلام ؟ و هـل هـذا قـرآن أم حديـث أم مـاذا ؟

ربمـا كان يختـبرني ليعـرف إذا كنـت أعـرف هـذا الـكلام و أحفظـه فأكـون وقعـت في الخطـأ و أسـلمت ، أم يكـون يقصـد أن يمتحـن قـوة إيمـاني فيحـاول أن يزعـزع ثقتـي فيـه و بالتـالي في الكنيسـة و مـن ثـم في الديـن كلـه ؟

هـل مـن الممكـن أن يكـون ابونـا إسـكندر مـن كنيسـتنا قـد أبلغهـم

عنـي و إني خطـر عـلي المسـيحيين بـترددي و شـكوكي؟ فـأراد الكاهـن أن يلقننـي درسـا ؟

أكاد أجزم أني كنت أتخيل ،

(و مـن يتـق اللـه يجعـل لـه مخرجـاً و يرزقـه مـن حيـث لا يحتسـب) اصـبري و رابطـي

أخـذت أردد الآيـة محاولـة أن أفهـم معنـي الكلـمات ، و لكـن لم أعـرف و مازلـت تحـت الغطـاء أنتفـض و أنـا منكمشـة عـلي نفـسي ، و رحـت في سـبات عميـق هروبـا مـن التفكـير تـتردد الآيـة في أذني

في الْيَـوْمَ الثالـث و كان آخـر يـوم لي ، و بعـد أن تناولـت الإفطـار مـع بعـض الراهبـات و أعطـوني بعـض الأعـمال لأقـوم بهـا خدمـة في الديـر و بعـد أن أنهيتهـا وقفـت في الحديقـة في نفـس المـكان الـذي قابلـت فيـه كبـير الرهبـان يـوم أمـس لعـلي أراه مـرة أخـري فأسـأله ، و لكنـه لم يظهـر

- هـو الراهـب الـلى اتكلمـت معـاه امبـارح اسـمه إيـه،؟ سـألت إحـدي الأخوات

- ابونا سمعان

- هو هنا من زمان ؟

- آه أنا جيت هنا لقيته و كان بقاله فترة طويلة قبلي

- طيب اوي هو و سمح كده ، اسم الصليب عليه

- ايـوه جـدا ؛ كلنـا بنحبـه و نقـدره و أي حـد فينـا عنـده أى مشـكلة هـو أول واحـد بيفتـح لنـا بابـه

- ايوه اللي هو فين بقي ؟

- اللي هو إيه ؟

- بابه

- نعم

- قصـدي أقولـك أنـا عـاوزه اسـلم عليـه قبـل مـا امـشي و اشـكره ، اروح

لـه فـين

- هـو في السـكن الـلي هنـاك دا خلوتـه ، بـس دا مينفعـش سـتات تدخلـه، ممكـن نبعـت لـه نقولـه لـو هينـزل النهـاردة في وقـت العشـا أو ترسـلي لـه رسـالة مـع الأخـت تريـزا تشـكريه فيهـا

- لا أفضل أقابله مرة تانية

- ماهـو مـش دائمـا بيطلـع مـن خلوتـه ، دا حتـي حجرتـه هـو فضـل انهـا تكـون أعـلي أوضـه في السـكن عـلي السـطح و مفيـش جنبـه أوض تانيـه

شـكرتها و أوصيتهـا أن تبلغـه شـكري و امتنـاني إذا لم يسـعفني الوقـت لرؤيتـه مـرة أخـري

ذهبـت إلي حجـرتي لأوضـب شـنطتي و أسـتعد لمغـادرة الديـر و الفضول يـكاد يقتلنـي ، فأنـا أريـد أن أراه مـرة أخـري و أسـأله مـاذا قـال تحديـداً ، لأني لسـت متأكـدة مـما سـمعت.

كانـت الشـمس تسـتعد للرحيـل و رائحـة الغـروب تبـدأ في الانتشـار و كان باقـي مـن الزمـن سـاعة عـلي ميعـاد العشـاء الأخـير لي في الديـر و مـن ثـم سـتأتي السـيارة لتقلنـي إلي القاهـرة في العـاشرة مسـاء

ولَم أستطع أن أقابله وأجده في أي مكان بالدير

لم آكل تقريبـا و تحججـت للأخـوات أني أخـشي مـن تلبـك معـدتي قبـل السـفر بالسـيارة مسـافات طويلـة فلـن آكل أو أشرب و شـكرتهم بحـرارة و اسـتأذنت منهـم عـلي أن أذهـب لغرفتـي حتـي أتـم توضيـب أغـراضي

و خرجـت إلي الحديقـة في الطريـق إلي سـكن الأخـوات ،فوجدتـه و كأنـه طيـف يقـف في الظـلام و مـن الغريـب أنـه كانـت حولـه هالـة مـن نـور تغلِّفـه ، للحظـة ارتعشـت مفاصـلي و ركنـت عـلي شـجرة لأسـتجمع قـواي ، هـل هـو طيـف غـير حقيقـي ، هـل أنـا أحلـم ،؟ لا أدري غـير أننـي كلـما اقتربـت منـه زاد نـوره،

- السلام والنور عليكي يا ابنتي

قـال بصـوت خفيـض و هـو يرتـدي قلنسـوة تغطـي نصـف وجهـه و ينظـر إلي الأرض

- ممكن حضرتك تقولي أنا واحدة في حالتي دي تعمل إيه ؟

- محـدش يقـدر يقولـك ،غـير واحـد بـس الـلي ممكـن تسـأليه و هـو يجاوبـك

- مين،؟

لم يرد واكتفي بأن رفع يديه إلي السماء

- ازاي يعني ،؟

- صومـي عـن الأكل و الـشرب تقربـا إليـه ، و اسـأليه في كل لحظـة إنـه يرشـدك أو يدلـك عـلي الطريـق

- هيدلني ازاي

- الإشارات حوالينا كتير ، و اللي يدور بيوصل

- بس انا سألت كتير وملقتش أي رد يقنعني

- و إيـه الـلي جابـك الديـر مـن الأصـل ؟ انتـي كنتـي في حيرة و تسـاؤلات ، و مجيئـك هنـا نـوع مـن البحـث برضـه ، كمـلي الطريـق لأنـك لازم في الآخـر ح توصـلي

- أرجـوك كفايـة ، أنـا لحـد امبـارح قبـل مـا اقابلـك كنـت خـلاص آمنـت و صدقـت و رجعـت عـن كل الـلي كان في بـالي ، أنـا مَـش هخـسر دينـي و عائلتـي و ازعـل المسـيح و أبويـا منـي علشـان ...

قاطعني كما قاطعته

- طيـب م أهـو دي رسـالة قويـة جـدا ، ليـه بقـي بتقـولي مـش لاقيـه رد .

14

لم أغف ثانية طول الطريق إلي بيتي و لَم أحاول ، ندمت فقط علي أني ذهبت إلي هذه الرحلة و التي كنت أتَوسم فيها الخلاص فرجعت أكثر تشتتا و حيرة

رجعت إلي العمل و إن كان يبدو عليّ بعض الإرهاق و إن كنت أحاول أن أركز في عملي أكثر و أكثر هربا من التفكير ، و بدأت أفكر أنه ربما لو انشغلت في بعض الأعمال الخيرية أو أى من الأعمال الأخري فمن الممكن أن أنسي الأمر برمته و هذا ما بدأت في عمله فعلا ، فقررت البحث عن بعض الدروس الفنية و وجدت إعلانا عن مدرسة موسيقي و أنا كنت أدرس البيانو منذ صغري و وجدتها فرصة لأكمل ما تعلمته،

المكان كان في المعادي

سألت المهندس فريد بما أنه يقطن في المعادي عن المكان فأجابني

- دا الشارع اللي ورايا مباشرة ، خير يا آنسه ايمان في حاجة ؟

- لا دي مدرسة موسيقي و كنت عاوزه آخد عندهم كورس بيانو

- بيانو إيه متاخدي كورسات طبخ و لا خياطة أفيدلك

جلانف أو لا يفقه في الذوق أقل ما يمكن أن يقال عليه

في أول يوم لي في درس البيانو فوجئت به و لا أعلم من أين علم المواعيد ينتظرني أمام الشركة وكان أزال جبيرة رجله و إن كان مازال تحت العلاج الطبيعي و لكنه يستطع السواقة،

- أنا مروح و ممكن أوصلك المركز بتاع الموسيقي دا

- ماشي

- اتفضلي اتفضلي

ثلاثــة أيّــام في الأســبوع كان قــدري أن أقــترب منــه و أعرفــه أكــثر الانطبـاع الأول دائمـاً غـلاب و لكـن المعرفـة عـن قـرب مـن الممكـن أن تغـير فكـرة الانطبـاع الأول

حـكي لي في الطريـق مـن المهندسـين إلي المعـادي و مـن المعـادي لمـصر الجديـدة لأنـه كان ينتظـرني بعـد الـدرس بحجـة إن المعـادي متطرفـة و يخـشي عـلي أن أذهـب إلي بيتـي في وقـت متأخـر هكـذا. و الحقيقـة أننـي رحبـت بهـذه التوصيلـة المجانيـة ، حـكي لي عـن طفولتـه و عـن دراسـته للهندسـة عـن دون رغبتـه و حـكي لي عـن أمـه ، و تلـك هـي مشـكلته الكـبرى فلـم أر في حيـاتي شـخصا يكـره أمـه إلي هـذا الحـد ، يكرههـا و أعتقـد مـن كلامـه أنهـا تكرهـه هـو و أبـاه و أختـه التـي كان يصفهـا أنهـا نسـخة مصغـرة منهـا ، لم أسـتطع أن أحـدد لمـاذا تكرههـم جميعـا و لكـن استشـفيت أنهـا شـخصية سـيكوباتية إلي حـد كبـير فقـد كانـت تعمـل مديـرة لأحـد البنـوك الحكوميـة، اشـتهرت عنهـا شـخصيتها العنيفـة و الحـادة و لكنهـا كانـت ناجحـة في عملهـا ، و لكنهـا كانـت فاشـلة فيـما غـير ذلـك ، لا مراعاتهـا لأطفالهـا أو زوجهـا أو البيـت الـذي كانـت تعتـبره لوكانـدة تمـضي ليلتهـا فيـه فقـط ، حتـي أنـه في أحـد المـرات تجـاوز في الحديـث و هـو يقـول

- أنـا كل الـلي شـاغلني هـي جابتنـي أنـا و أختـي ازاي ؟ مـش متخيـل انهـا ممكـن تكـون كانـت بتنـام مـع أبويـا و لـو نامـت يبقـي إيـه الوضـع ،؟

لم أضحـك بالطبـع و لكنـه اسـتمر في وصـف علاقتهـا بأبيـه و كيـف أن والـده كان شـخصية ضعيفـة مسـتكينة يبعـد عـن الـشر و يغنـي لـه ، و أن أختـه تزوجـت مـن دكتـور يعمـل في السـعودية و أن القصـة الشـهيرة و التـي توقفـت أنـا عندهـا كثـيرا

- مـرة أختـي بعـد مـا اتجـوزت و سـافرت لجوزهـا و كان مبقلهمـش سـت شـهور متجوزيـن فوجئنـا بجوزهـا بيكلمنـا عـلي التليفـون و يشـتكي

لبابا ان منال ضربته بالقلم علي وشه و طردته من البيت و رمت له هدومه من الشباك

- نعم؟

- آه و الله زي ما بقولك كده

- ليه ؟

- أصله علي حسب ما هي حكت لماما انه رجع متأخر و مكلمهاش في التليفون يبلغها فاتخضت أوي عليه و محستش بنفسها و هي بتفتح له الباب إلا و هى بتضربه بالقلم علي خده

- و مامتك قالت لها إيه ؟

- قالت لها برافو عليكي شاطرة

- انت بتتكلم بجد و لا بتهزر

- و الله زي ما بحكيلك كده

- طيب و باباك

- لا بابا إيدك منه و الأرض و لا بيعمل حاجة

- طيب و جوزها عمل إيه بعد الحادثة دي ؟

- لا هو تقريبا سمع كلام بابا ان أعصابها خانتها و إنها كانت خايفة عليه و معلش يا بني و دي في غربة و كده

- و انت إيه موقفك

- لا أنا مليش دعوة خالص

- ليه كده مش دي أختك الوحيدة ؟

- ايوه بس أنا اتعودت مادخلش في حياة أى حد من العيلة دي

الحقيقة تعاطفت معه وبدأ حديثنا يستمر بالساعات بعد أن يصل إلي بيته ، حتي نتقابل نهارا في المكتب ، فننتظر وقت الراحة لنأكل سويا و كان من اللطيف أن يأتيني ببعض المأكولات الصيامي في أيّام الصيام

توطـدت العلاقـة مـا بيننـا كثـيرا و زاد اهتمامـي بـه ، كان في الأول شـفقة مـما يعانيـه في بيتـه و مـن أمـه و لكـن بعـد خمسـة شـهور تحـول إلي شـعور حـب جـارف مـن ناحيتـي و إن كان هـو قـد اعـترف لي بحبـه مـن قبـل هـذا بكثـير

كنـت مريضـة ذات يـوم و لَـم أذهـب إلي الشركـة و كان بالصدفـة هنـاك عطـل في تليفـون المنـزل و لم تكـن هنـاك أي وسـيلة اتصـال في ذلـك الوقـت أخري

لأفاجأ في اليوم التالي بوالدتي تدخل علي حجرتي

- ايمان في واحد راجل بره في الصالة

- راجل مين

- بيقول من الشركة

قمـت أرتـدي روب البيـت عـلي لأخـرج فقـد اعتقـدت أن السـاعي قـد أحـضر لي أوراقـا مهمـة اوي أو أي شيء آخـر

- باشمهندس فريد ؟

- معلش أنا آسف إني جيت كده علي غفلة

- لا أبدا اتفضل

قلتها و انا أشد علي ردائي و أمشي ببطء و أكح بشدة

- خير يا آنسه ايمان انتي عيانة و لا إيه

- آه أوي صدقني

نظرت لي أمي باستغراب

- ماما دا المهنـدس فريـد مـن الشركـة ، أكيـد مسـتر جوناسـون اسـتغرب علشـان التليفـون بايـظ و بعتـه بـأوراق مهمـة متتأخـرش

- أهلًا يا بني اتفضل ، تشرب إيه

- قهوه ساده يا طنط لو سمحتي

لم أنس منظر والدتي يومها لي و له

بعـد أن دخلـت المطبـخ فوجئـت بـه يحتضنـي بشـدة و عينـه تملؤهـا الفرحـة

- أنا كنت هتجنن عليكي

- شششش، بشويش بس ماما تسمعنا

- ازاي متكلمنيش

- و انت ازاي تيجي لحد البيت

- بقولـك منمتـش بقـالي يومـين و كنـت بايـت في العربيـة تحـت بيتكـم مـن امبـارح بحـاول اشـوفك تنـزلي تطلعـي و زمـرت بالعربيـة كتـير أوي لحـد مـا الجـيران كانـوا هيبلغـوا البوليـس

- للدرجـة دي ، أنـا آسـفة صدقنـي مسـمعتش ، أنـا واخـدة أدويـة كتـير منيـماني أوي

- سلامتك ألف سلامة

- انت فعلا كنت بايت في العربية

- آه والله

- طيب ليه كل دا

- و دا سؤال تسألـيه يا ايمان

- قلقت عليّ يعني

- لا بقولك كنت هتجنن عليكي و خايف موت

- ليه يعني كل دا دول هما يومين

- عدوا علي كأنهم سنتين و الله

- أنـا مـش مسـتوعبه الـلي بتقولـه دا ، احنـا صحيـح أصدقـاء بـس مـش للدرجـة دي يعنـي

- أنـا لمـا لقيـت ان التليفـون بايـظ و مـش عـارف أوصلـك كنـت زي المجنـون و معرفتـش اعمـل إيـه ، جيـت قعـدت بقـي ادام البيـت لعـل و عـسي اشـوفك و اطمـن عليـكي و لمـا الضهـر أذن و مظهرتيـش قلـت بقـي

مبدهـاش و طلعـت

- بس أقول إيه لماما كده

- زي ما قولتي في ورق مهم لازم تشوفيه

- و هو فين الورق دا

- آه صحيح معملتش حسابي

- طيب خلاص انزل انت دلوقت و أنا هتصرف

- لا أنـا لسـه مشربتـش القهـوة ، اللـه بيتكـم حلـو أوي و كبـير مـا شـاء اللـه ، كل دي تحـف و أنتيـكات ؟ دي غاليـة أوي أوي أكيـد

- يا فريد احنا في إيه و لا إيه دلوقت

و خرجت أمي بجانب الخادمة تحمل القهوة

- إيه دا عندكم خدامه كمان ، حلو أوي

- شششش وطى صوتك هتفضحنا و الله

شرب القهـوة و هـو ينظـر إلي البيـت تـارة و إلي أمـي تـارة و أخـذ يتحـدث معهـا في ذوقهـا و رقتهـا و جـمال البيـت و أمـي تـرد باقتضـاب

- مين دا يا ايمان

- دا مهنـدس في الشركـة يـا ماما و كان عنـده سـفر و فلـوس متعطلـين بسـبب إجـازتي و خايـف عـلي حاجتـه فجـه يسـتعجلني علشـان ارجـع الشـغل و اخلـص لـه أوراقـه

- للدرجـة دي يعنـي مـش قـادر يسـتني؟ و لا في حـد يحـل محلـك يعنـي

- لا مفيـش دي فلـوس و عهـدة و كـده محـدش يعملهـا غـيري ، و أنـا وعدتـه إني هنـزل بكـره الشـغل مخصـوص أخلصهولـه

- هتنزلي و انتي بالمنظر دا ، لتتنكسي يا بنتي

- لا متخافيش أنا بقيت كويسة خلاص صدقيني

مصمصت شفتيها و تركتني وحدي أفكر فيما حصل للتو،

و فِي الصباح نزلت لأركب المترو و أذهب إلي عملي لأفاجأ به يقف في السابعة صباحا أمام باب البيت

- يا نهار ابيض اوعي تقولي انك بايت في العربية تاني من امبارح

- لا أنا نزلت الساعة خمسة و جيت علشان خوفت تنزلي بدري فقلت استناكي

ثم أمسك يدي و قبلها قبلة طويلة و عندما هممت أن أسحبها فوجئت به يقول

- أنا بحبك ، بحبك من أول يوم شفتك فيه، بحبك فوق ما ممكن تتخيلي ، انتي اللي بدور عليها طول عمري ، انتي اللي حسستيني ان الدنيا بخير ، إن الحياة حلوة و فيها حاجه تستحق ان الواحد يعيش علشانها ، أنا مش عاوز أقولك انك حسستيني بحنان الأم اللي كنت معرفش عنه حاجة

- يعني إيه بتعتبرني مامتك ، قلتها ضاحكة و أنا أسحب يدي من يديه بهدوء و أحاول أستجمع قواي فأنا لا أعلم ماذا أقول له ، فلم أكن قد أحببته بعد

- انتي مامتي و بنتي و حبيبتي و كل حاجة ليّه في الدنيا

- يا فريد...

- لا مش عاوز اسمع منك رد و لا مستني، أنا كل اللي عاوزه بس انك تسيبيني احبك ، و النبي ، و ربنا متبعديش عني ، لو لي عندك خاطر متكسريش بخاطري

و الغريبة انه قد بدأ في البكاء

15

قصة حب بدأت بعدم استلطاف و ثقل دم من طرفي و لكن لا أعرف تحديدا كيف أو لماذا أحببته ، هل كنت أفتقد الإحساس بهذا الشعور الجميل المسمي الحب ، هل اهتمامه الزائد بي ذكرني باهتمام أبي بي و كيف كنت أفتقده بشدة ،

فريد اسم علي مسمي فهو فريد في شخصيته ، في البداية شعرت أني لا أفهمه هل هو طيب أم خبيث ، كريم أم بخيل ، بارد أم عصبي ، أناني أم يؤثرني دائماً علي حساب نفسه ،

بالتأكيد حياته الأسرية قد أثرت في شخصيته كثيرا فهو و إن كان دخل كلية الهندسة إرضاء لرغبة والدته التي كان كل كلامها نافذا بدون نقاش إلا أنه قد نجح فيها نجاحا مبهرا ، كيف ينجح في شيء يكرهه،؟

ليس بالطويل أو القصير لَيْس بالرفيع أو السمين ، خمري اللون ، ذو ملامح أقل من العادية في القبول ... و رغم ذلك أحببته ، في البداية كنت لا أشعر تجاهه بأي عاطفة و لكن بعد حضوره إلي منزلي و بكائه من خوفه علي ، بدأت أشعر أنه نصيبي المنتظر و لعل القدر كان يخبئ لي الأفضل ،

اعتاد أن يحضر كل يوم من المعادي إلي مصر الجديدة ليصطحبني إلي العمل الذي قدم للمدير تقريرا طبيا باستحالة تواجده في الموقع بعد حادثته الأخيرة و طلبه التواجد في مكتب القاهرة ليكون من المهندسين القائمين بالأعمال الإدارية للمشروع ، و إن كنت أعلم أن هذا التقرير مزيف و لكن أقنعت نفسي أنه قد فعل ذلك من أجلي و أنه لا يستطيع البعد عني بعد الآن ، فتنازلت عن مبادئ للمرة الأولي

و مـن أجـل الحـب

كنّا نقـضي أغلـب الْيَـوْم معـاً يصطحبنـي صباحـا مـن المنـزل إلي العمـل و مــن ثــم مــن العمــل إلي حصــة الموسـيقي التــي بعــد قليــل تناسـيتها تمامـا و قـد نخـرج حتـي المسـاء فيعـود بي إلي البيـت فأنتظـره حتـي يصـل إلي منزلــه فأحدثــه في التليفــون حتــي الســاعات الأولي مــن الصبــاح ننــام سـاعتين لنبـدأ الكـرة مـن جديـد

في خـلال خمسـة أشـهر حتـي اعترفـت لـه بحبـي و قبـول حبـه كانـت بالنسـبة لي كأنهـم خمـس سـنوات مـن كـثرة تواجدنـا معـاً

- ممكن اعرف بقي إيه الموضوع بالظبط

سـألتني منـي ذات يـوم بعدمـا ألحـت عـلي أن أزورهـا في المنـزل فقـد تركـت الشـغل كـما وعـدت بعـد زواجهـا ، و إن كان عمـرو زوجهـا مـازال زميلنـا في المكتـب و يـري ويسـمع مـا آل إليـه وضعـي الجديـد

- إيه اللي حصل ؟

- قصتك انتي و فريد ؟

- هي بقت قصة

- ايوه قصة و كل الشركة عارفه

- طيب و إيه يعني هو حرام و لا إيه

- متهيـألي في دينـك حـرام و لا انتـي نسـيتي فـادي الـلي كان هيمـوت عليـكي و انتـي رفضتيـه علشـان مـن رأيـك انـه عمـل حاجـة ضـد الديـن

- الكلام دا قديم يا مني خلاص خلصنا منه

- بس فريد يا ايمان ؟

- ماله فريد يا مني

- متهيألي انتي كنتي مش بتطقيه و مش بينزلك من زور

- كان

- و دلوقت

- أنا بحبه أوي يا مني ، محسسني بحنان أبويا ، و حبه لاهيني عن الدنيا كلها ، حاسة إني لقيت نفسي معاه ، روحي اتردتلي ، شايفة كل حاجة حلوة و مزهزهه حواليه

- و دينك؟

- صدقيني لسه مفكرتش ، زي ماكون عامله لمخي إغلاق للملف دا بالأمر زي ما بعمل بالكمبيوتر في الشغل ، لسه مش عارفه و لا قادره و لا عاوزه افتح الملف دا دلوقتي خالص

- بصي يا ايمان كل اللي اقدر أقولهولك ان فريد دا عليه علامات استفهام كتير ، أنا بحس انه مش واضح كده ، مخبي حاجة ، عينه بحس فيها و متزعليش مني بحس فيها بغيرة أو كره كده لكل الناس

- لا صدقيني انتي بس علشان مش عارفه خلفيات حياته ، حياته كانت صعبة أوي أوي يا مني ، أمه تقريبا شريرة عملتله عقد نفسية كتير ، بس متقلقيش أنا فكيتهاله كلها

قلتها و أنا أضحك و أحتضنها بشدة في طريقي للرحيل حيث أن فريد كان ينتظرني تحت منزلها و لَم أخبرها بذلك ، فقط تعللت أني عندي ميعاد مهم ، و إن كنت رأيتها و هي تنظر من خلف ستائرها و تراني و أنا أركب مع فريد سيارته المتهالكة

- كانت عاوزاكي في إيه مني ؟

- أبدا وحشتها و كانت عاوزه تشوفني

- انتى كدابة

قالها بدون تفكير و بعصبية مبالغ فيها

- نعم

- لا لا مش قصدي يا حبيبتي ، أنا قصدي إني عارف انها كانت بتسألك عليا

- فريد انت ازاي تقولي كده،

بغضب و خضة شديدة و بصوت مرتعش سألته

أمسك يدي و ظل يقبلها و يعتذر و يتعلل أن والدته قد افتعلت مشكلة صباحا و أنها كسرت كل فازات البيت الكريستال من شدة انفعالها و أنه لم يخبرني من الصباح حتي لا يفسد علي يومي

صدقته بل اعتذرت له عن غضبي منه ، و ذهبنا إلي أحد المطاعم المطلة علي النيل لنتناول الغذاء و نجلس في ظَل النيل نهدئ أعصابنا قليلا ،

أوقف السيارة خلف المطعم و عندما هممت أن أترجل منها فوجئت به يشدني بقوة ليقبلني في فمي بطريقة بدت لي أنها عنيفة من حيث أنها قبلتنا الأولي

أيضا عذرته علي فعله لأنه لا سوابق أو خبرة له في هذا الوضع حيث أنه أخبرني أني فتاته الأولي في الحياة

16

سبعة أشهر كاملة و كنت قد أصبحت جاهزة تماما لأتزوج فريد و لكن كيف ؟

- هنعمل إيه يا حبيبتي ، أنا خلاص عاوز يتقفل علينا بيت واحد و نعيش فيه لوحدنا طول العمر مبقتش اقدر استغني عنك و لو للحظة واحدة أنا مستعد آجي أقابل أهلك من بكره لو وافقتي

- مش ممكن يقابلوك ، أنا كنت دائماً اسمع بابا يحكي علي واحدة قريبتنا في السودان لما صممت تتجوز مسلم ازاي العيلة كلها قاطعتها و محدش بقي بيجيب سيرتها إلا لما يلعنوها و أنها عملت شيء مشين ، علي الرغم من موافقة أبيها و أمها بس باقي العيلة قاطعوهم كلهم ،

- طيب و إيه الحل دلوقت ، أنا ممكن اتجوزك و انتي علي دينك

- أنا مينفعش اتجوزك و انت علي دينك

- طيب إيه العمل ؟

- يا تقنعني يا أقنعك

- أنا معنديش مانع ، اقرأ و اسمع منك ، و انتي كمان تقرأي و تسمعي مني و نشوف مين هيقنع التاني

الحقيقة أني كنت أصلا مقتنعة من قبل إقناعه و منذ زمن و لكن كنت دائماً أتردد في آخر لحظة ، غضب أهلي ، حبي للمسيح و تعاليمه ، خوفي من غضبه إن كنت مخطئة في اعتقادي

و ذهبت مرة أخري للشيخ والد صديقتي فاطمة

- أهلًا و سهلا يا بنتي

- أنا جاية لحضرتك النهاردة علشان تساعدني آخد قرار نهائي و أكون مقتنعة بيه ميه في الميه ، صدقني أنا علي شعرة واحدة بس ،

قـولي أي حاجـة ، قـولي ان الإسـلام هـو الديـن الحـق ، قـولي إني كنـت طـول السـبعة وعشريـن سـنة دول عـلي خطيئـة ، قـولي و انـا هصدقـك فـورا

- لا يـا ايمـان يـا بنتـي ، أنـا مقـدرش أقولـك كـده ، دا قـرار لازم يكـون نابـع مـن قلبـك ، محـدش يقنعـك بيـه

- أرجوك أنا مش قادرة علي اتخاذ القرار دا لوحدي

- طيـب أنـا هقولـك عـلي حاجـة تعمليهـا يمكـن ربنـا ينـور لـك بصيرتـك و يفتـح لـك الطريـق

- قول من فضلك أنا كلي آذان صاغية

- انتـي توهبـي للـه صيـام ثلاثـة أيّـام ، مـش مهـم صيـام مسـلمين أو مسـيحيين ، اوهبـي صيـام للـه ، امتنعـي عـن الأكل و الـشرب و كل مغريـات الحيـاة لوقـت محـدد ، و ادعـي ربنـا مـن كل قلبـك فى كل لحظـة ، إنـه يسـاعدك عـلي إيجـاد طريـق الحـق و النـور و ميكونـش زي مـا عرفـت مـن فاطمـة انـه علشـان جـواز أو أى حاجـة دنياويـة ، فقـط انـك عـاوزه تكـوني عـلي الحـق ، سـواء أسـلمتي أو فضلتـي عـلي دينـك ، سـاعتها هيكـون اختيـار و قـرار مـن ربنـا عـز وجـل ، المهـم زي مـا قولتلـك، تخرجـي مـن قلبـك أي شيء دنيـاوي ، فهمتينـي يـا بنتـي

- غريبة أوي

- إيه اللي غريب

- أصل دا نفس اللي قالي عليه الراهب المسلم

- مين ؟

- لا لا متخدش في بالك حضرتك

خرجـت مـن مقابلتـه و اتصلـت بفريـد أبلغتـه بمـا دار و أن يقـدم لي أجـازة مرضيـة لمـدة ثلاثـة أيّـام و ألا يحـاول الاتصـال بي لأي سـبب مـن الأسـباب و إني أنـا مـن سـأتصل بـه عندمـا أصـل إلي قـرار

في الْيَوْمَ الأول استيقظت من النوم بعد أن وهبت نهاري كله صياما بدون أكل أو شرب و ظللت في حجرتي فقط أدعو باستذلال و بكاء مرير ، و الحمد لله إن والدتي في هذه الفترة كانت في الإسكندرية لحضور مناسبة عائلية و التى اعتذرت عنها لانشغالي في العمل

بعد أن أظلمت الدنيا خرجت من حجرتي لأتناول أي شيء و أصنع لي فنجانا من القهوة حتي يزول الصداع الذي أحاط برأسي من كثرة البكاء و البعد عن القهوة و السجائر ، لتصطدم قدمي بجريدة ملقاة من تحت عقب الباب كعادتنا كل يوم ، فحارس العقار يشتري لنا الجريدة يوميا و يلقيها صباحا تحت باب الشقة فالتقطتها بإهمال و نصف عين مقفولة من الوجع ليقع بصري علي تهنئة رئيس الجمهورية الشعب المصري بمولد النبي الكريم و تحته رحلة من شركه سياحية عن رحلة عمرة المولد ، لم أهتم و ألقيت بالجريدة علي الطاولة و هممت أن أكمل طريقي للمطبخ لصنع القهوة و لكني رجعت لأقرأ المقال المصاحب للخبر عن حياة سيد البشر و رحلته من بدء نزول الوحي عليه إلي هجرته إلي المدينة ، انتهي الخبر فقد كان مقالا اعتياديا ليس بالمبهر ، شعرت أني أريد أن أعرف المزيد عن هذا الرجل الذي غير شكل البشرية بأكملها ، كانت معلوماتي من الديانة المسيحية أنه نبي كاذب تأثر بالهرطقة اليهودية بعد لقائه بالراهب بحيري و استعمل القرآن لتغطية آثامه ، و هذا ما قاله يوحنا الدمشقي ، و إن كانت معلوماتي قليلة في هذا الشأن فقد بحثت في الكتب الكثيرة التي أعطاني إياها فريد في محاولاته لإقناعي لأجد كتابين ل (وليم منتجمري) مستشرق بريطاني كان يعمل أستاذا للغة العربية و الدراسات الإسلامية و التاريخ الإسلامي بجامعة أدنبره في إسكتلندا و هذان الكتابان من أشهر كتبه (محمد في مكة ١٩٥٣) و (محمد في المدينة ١٩٥٦) نسيت القهوة و السجائر و الصداع و استغرقت في القراءة و عرفت الكثير و

الكثير حتي سقطت من شدة التعب و قلة الأكل في نوم عميق لأري في حلمي في اليوم الأول الراهب المسلم الذي قابلته منذ عامين في الدير في ملابس بيضاء يصلي و يردد الآية التي كنت نسيتها تماما لكن في الحلم ترددت بصوت عالٍ

(و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب)

لأستيقظ بشهقة مسموعة مخضوضة مما رأيت ،

قمت لآكل شيئا ثم نمت مجددا

في الْيَوْم الثاني و إلي وقت العصر لم يحدث شيء و كنت قد تعبت من القرّاءة و تملكني الملل من كثرة الدعاء فقررت أن أشاهد التلفاز قليلا و إن كان هذا خارج إطار الصيام الذي حددته لنفسي فأنا لم أكن أصوم عن الأكل و الشرب فقط و لكن عن كل مغريات الحياة كما قال لي والد فاطمة بما فيهم الحديث حتي مع أي أحد أو سماع الموسيقي أو مشاهدة التلفاز. لأفتح التلفاز فأفاجأ بأذان العصر ينتهي ليبدأ بعده حديث قدسي بصوت الشيخ الشعراوي يقول (من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعا... إلي آخر الحديث

لأجلس مصدومة علي أقرب مقعد أجده و أجدني أردد (حاضر ، حاضر)

و فِي الْيَوْم الثالث لم يحدث شيء نهائيا فارتبت في الأمر قليلا و كنت أستعد للذهاب إلي العمل في الصباح و مقابلة فريد الذي افتقدته كثيرا و أنا علي يقين أنه أيضا افتقدني ، شعرت أن ما حدث في اليومين السابقين كان مجرد صدف و إني مازالت لم أقرر بعد بل شعرت أيضا أنني و رغم إعجابي الكبير بسيرة النبي محمد و اعتزازي و تقديري له و أسفي علي ما كنت أظن فيه ، و لكن هذا ليس بالشيء الذي يدعوني لاتخاذ مثل هذا القرار المصيري ، و جهزت ملابسي التى سوف أقابل بها فريد في الصباح و اخترت (بلوزه) ذات حمالات رفيعة و

بنطال (جينز) ضيق جدا ، فقد كان فريد يثني دائماً علي رشاقتي و جسمي الرفيع المتناسق مع قصر قامتي ، وبعد أن هممت بالدخول إلي السرير شعرت أني أريد أن أستحم ، علي الرغم من أن الجو كان شديد البرودة و أنا عادة لا أستحم قبل الخلود إلي النوم ، استحممت و خلدت مباشرة إلي النوم لأري رؤية و كأن السماء تضاء بنور شديد البياض ، و كان هناك ذراعان مفتوحان يخرجان من النور و يدعوننى إليه

- فريد أنا عاوزه أشهر إسلامي

قبل أن أقول له صباح الخير و أنا أركب في سيارته صباحا قلت له

- انتي بتتكلمي بجد يا ايمان

- ايوه بتكلم بجد و عن اقتناع تام ، ربنا نور لي بصيرتي خلاص و دعاني ليه

في طريقنا إلي مشيخة الأزهر حكيت له عن أحداث الثلاثة أيّام و ما رأيته في رؤيتي الأخيرة و إني علي يقين أنها يد الله التي دعتني إليه و أن هذا ما حاول أن يشرحه لي الكاهن المسلم و الشيخ والد صديقتي ، أن الله إذا أحب عبدا دعاه إليه ،

في الثامنة و النصف صباحا كنّا نجلس في مكتب كبير في مشيخة الأزهر ننتظر من سيقابلنا و لَم أكن أنتبه أنني قد ارتديت ملابسي التي وضبتها ليلة أمس ،

نظر إلي الشيخ بابتسامة سمحة و قال

- قوليلي يا بنتي انتي عاوزه تشتهري إسلامك ليه

- أنا بحثت كتير و اقتنعت

- و لا علشان عاوزه تتجوزي الأستاذ ،

و أشار إلي فريد بجواري

- لا مش علشان كده مع العلم إني هتجوزه برضه

بابتسامة رددت عليه و نظرة استحياء تعلو وجهي

- طيب انتي تعرفي إيه عن الإسلام

- أعرف ان ربنا دعاني إليه

- طيب تقدري تقوليلي فيه كام صلاة في الْيَوْم

- خمسة

- تعرفي أسماءهم إيه و فيهم كام ركعة

- ايوه ، الصبح اتنين و الضهر و العصر اربعة و المغرب و العشا تلاتة

- لا العشا كمان اربعة

- تمام

- طيب حافظة أي آيه من القرآن

- لا الصراحة

- طيب تعرفي ان ملابسك كده متنفعش و لازم تتحجبي

- ايوه معلش أنا أصلي جيت من غير ميعاد معلش

- لا يا بنتي متعتذريش أنا بس بقولك ان الدين الإسلامي فيه قيود و أحكام لازم تلتزمي بيها

- ايوه طبعا عارفة

- طيب عاوزه تسأليني علي أي سؤال

- آه لو ممكن ، أنا طبعا لسه مش هقدر أقول لأهلي و لازم أخبي عليهم فترة لحد ما اعرف هتصرف ازاي ، فأنا مش هقدر أصلي في الأوقات اللي هكون فيها في البيت

- طيب بصي يا بنتي بإذن الله لو قدرتي تصلي الفجر و هما نايمين صلي لو حسيتي بخطر علي نفسك لو حد صحي و شافك ابقي صليه قضي في الشغل ، و بعدين ممكن يكون ليكي رخصة للضرر انك تجمعي الصلوات مع بعض ، زي الضهر و العصر أو المغرب و الْعَشِا و

طبعا دا مؤقتا لحد ما ربنا يجعل لك مخرجا بإذن الله

- ايوه أنا سمعت الآية. من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب

- الله يفتح عليكي ، ما شاء الله عليكي جزاؤك الجنة بإذن الله ، ربنا يكتبهالك و يكتبهالنا جميعا

ثم استدار بكرسيه ليقترب مني و هو يقول

- قولي ورايا يا بنتي أشهد ألا إله إلا الله

- أشهد ألا إله إلا الله

- و أشهد أن محمداً رسول الله

- و أشهد أن محمداً رسول الله

مع كل رعشة في جسدي و مع كل دمعة سقطت من عيني و مع كل فرحة و سعادة شعر بها قلبي نطقت الشهادة و تنفست الصعداء و شعرت بأني أحلق خارج السرب و إني قد سلكت مسلكا بين النجوم و المجرات ، لا أعرف كيف انتهت المقابلة و لا كيف خرجنا من المشيخة و حكي لي فريد علي أنه احتضنني و قبلني بشدة أمام الشيخ و لَم يبال و اعتذر له معللا ما حدث من شدة فرحه ، و إني خرجت و ركبت السيارة و أنا أنظر إلي السماء و الدموع تملأ وجهى وعيني و لا أسمع و لا أَعى أي شيء يدور حولي فقط فتحت شباك السيارة و طللت علي السماء أنظر إليها بفرحة و الدموع تتساقط مني و كأني كنت أحدث شخصا في السماء .

17

شـهر كامـل يحفظنـي فريـد سـورة الفاتحـة و قصـار السـور مـن القـرآن الكريـم و علمنـي الوضـوء و الصـلاة ، و كانـت أول هدايـاه لي إسـدالا مـن القـماش الأبيـض المطـرز بـوردات صغـيرة ملونـة اشـتري القـماش مـن الأزهـر و اسـتعمل ماكينـة الخياطـة الخاصـة بوالدتـه لصنعـه لي بنفسـه و لَـم أكـن أعلـم أنـه يجيـد الحياكـة مـن قبـل

احتفظـت بالإسـدال في درج مكتبـي و كنـت أتخـذ إحـدي الحجـرات الخاصـة بالاجتماعـات لجمـع الصـلاة و كنـت أتأكـد أني قـد أغلقـت البـاب عـلي بالمفتـاح

- ايمـان أنـا عـاوزك تقابـلي أهـلي ، ممكـن ؟ أنـا حكيـت لهـم عليـكي كتـير أوي ، بـصي بصراحـة ماما لسـه مـش مسـتوعبه و مـش متقبلـه بـس معلـش واحـده واحـده أنـا حكيـت لـك عنهـا كتـير ، هـي مـش سـهله ، لكـن في الآخـر تحـت أي بنـد احنـا هنتجـوز و قريـب أوي

و فِي الْيَـوْم المحـدد للمقابلـة و كانـت في نـادي اليخـت بالمعـادي جـاء فريـد لاصطحـابي و دخلنـا النـادي لنفاجـأ بأبيـه فقـط مـن حـضر. و إن كانـت أختـه موجـودة في هـذا الوقـت في القاهـرة في أجـازة مـع زوجهـا و أولادهـا الأربعـة و التـي لا أعـرف كيـف اسـتمر معهـا هـذا الـزوج و أنجـب منهـا أربعـة أولاد بعـد مـا حـكي لي فريـد عـلي ضربهـا لـه و معاملتهـا السـيئة لـه ،

والـده كان طيـب القلـب وسـيما ذا جسـد ممشـوق ريـاضي و إن كان فريـد يحـكي لـه أنـه يمـشي يوميـا سـاعتين فهمـت مـن بـين السـطور أنـه يهـرب مـن بقائـه في المنـزل حتـي لا يصطـدم مـع زوجتـه المتقلبـة المـزاج ، دار الحديـث فيـما بيننـا في أمـور شـتي و إن فهمـت مـن قلقـه الزائـد

أنـه ليـس لـه رأي في هـذا الـزواج و لا يسـتطع أن يسـاعد سـوي بإعطائنـا شـقته الصغـيرة جـدا و التـي كان يقطـن فيهـا عنـد دراسـته الجامعيـة بعـد حضـوره مـن الشرقيـة موطـن رأسـه

- هنفرش الشقة ازاي ؟

سألني فريد بعد أن اعتذر منا والده بعد مقابلة سريعة و بسيطة

- أنا محوشه فلوس في دفتر توفير

- الله بجد

- آه ، بس مع ماما الدفتر و مش عارفه أخده منها ازاي

- هو فيه كام

- تقريبا ٢٠ ألف جنيه

- يااااه معقول دا كتير أوي

- احنـا نغـير بقـي الشـقة كلهـا ، نجيبهـا عـلي الطـوب و نعملهـا مـن الأول ، بديكـورات و حمامـات سـيراميك بقـي ونجيـب عفـش مـن أغـلي محـل في مـصر

- اللـه أنـا فرحانـه أوي يـا فريـد و مـش قـادرة اسـتني ، نفـسي مـن بكـره نبـدأ نوضـب في بيتنـا ، حتـي كلمـة بيتنـا وانـا بنطقهـا بتطـيرني مـن الفـرح

- هنفرشـه يـا حبيبتـي و هيبقـي أحـلي بيـت في الدنيـا وهنعيـش فيـه في سـعادة و حـب طـول العمـر

- طيب هنعمل إيه مع أهلي

- أنـا شـايف إنهـم هيزعلـوا شـويه و بعديـن يصالحـوكي دا الضفـر ميطلعـش مـن اللحـم برضـه

- لا دا من رابع المستحيلات

- يعنـي إيـه مَـش هيصالحـوكي بعـد حتـي مـا تخلفـي و تروحـي لهـم بـولادك

- و لا الهوا ، انسي

- طيب و ميراثك، دا انتي كنتي حاكيه لي بس علي الأطقم الدهب بتاعت عيد ميلادك

- في الأغلب هيوزعوها علي الفقراء ، ضحكت بصوت عال لأفاجأ برد فعله

- انتي بتهرجي ازاي في موقف اسود زي دا

- ليه بس يا حبيبي اسود ، اتفائل،،، احنا اللي بنعمل الفلوس مش هي اللي بتعملنا ، و بعدين أنا مش عاوزه فلوس أنا عاوزاك انت و مستعده أعيش معاك علي البلاطة

- يا حبيبتي أنا خايف عليكي ، دا حقك ومينفعش تسيبي حقك

- طيب خلينا بس نفكر واحده واحده ، نشوف ازاي نسحب الفلوس اللي في الدفتر و بعدين يحلها ربنا

ذهبنا إلي البنك بعد يومين و أقنعت الموظف بعد أن لقنني فريد ما أقول ، أن الدفتر قد فُقد مني منذ فترة و إني أريد أن أستخرج بدلا منه ، و قد كان و استلمت الدفتر و فيه كل ما أملك من حطام الدنيا لأسلمه إلي فريد حتي لا تعثر عليه أمي مرة بالخطأ و حتى يكون من السهل أن نذهب سويا للسحب منه لتشطيب الشقة و شراء العفش ، و لأننا كنّا نشتغل كل يوم ، أقنعت والدتي أن هناك أشغالا جديدة في الشركة تستلزم مني العمل يوم السبت ، و كنت أقضي يوم الجمعة فقط مع عائلتي حيث يتجمع الإخوة و أولادهم كل جمعة ، و كنت أتمني أن ينقضي الْيَوْم سريعا حتي يأتي الْيَوْم المحبب إلي قلبي يوم السبت ، الذي أشعر فيها بكل ألوان الحياة و أنا اختار ديكورات البيت الذي سأقضي فيه أجمل أيّام حياتي

اعتدت منذ أن عرفت الصلاة أن أختتم صلاتي بسجدة دعاء طويلة ، أشكر الله فيها علي إسلامي أولا ، و من ثم علي وجود فريد في حياتي

، و أدعـو أن يجعـل اللـه لي مخرجـا مـن كل ضيـق و يسـاعدني مـع أهـلي و يجعلهـم يسـامحوني و لا أبعـد عنهـم أبـدا ، فأنـا أحـب أهـلي حبـا لا يوصـف

بدأنـا في فـرش الشـقة و تقريبـا كانـت في خـلال ثلاثـة أشـهر جاهـزة بالكامـل و كنـا في يـوم سـبت نشـتري في رفائـع بسـيطة و رجعـت إلي البيـت و السـعادة تسـبقني و رجـلي تؤلمنـي مـن كـثرة اللـف و لبـسي يومهـا لحـذاء ذى كعـب عـال

لأفتـح البـاب فأجـد إخوتي جميعهـم بزوجاتهـم و أزواجهم و فِي وسـطهم أمـي تلبـس السـواد و تبـكي بحرقـة ، و إن كنـت لا أعلـم أن أبي مـات منـذ زمـن لتخيلـت للحظـة أنـه قـد مـات الآن ،

أغلقـت البـاب خلفـي و قلبـي ينتفـض و أنظـر إليهـم في اسـتغراب و دهشـة

- إيـه في إيـه ؟ إيـه الـلي حصـل ؟ إيـه يـا ماما في إيـه ؟ مالـك بتعيطـي عـلي مـين ،؟ حـد مـات ؟

- كنتي فين يا ايمان

- كنت في المكتب يا ريمون ؟ ليه ؟

- احنـا كلمنـا المكتـب الصبـح علشـان نبلغـك ان أبـو فاطمـة صاحبتـك مـات و كلمتـك تقولـك علشـان تقفـي معاهـا فكرتـك النهـاردة السـبت أجـازة و لمـا ماما كلمـت المكتـب علشـان تقولـك رد عليهـا واحـد اسـمه وجيـه

- وجيه ، يا نهار اسود (بصوت خفيض قلت)

- آه و قـال لماما انـك مـش بتيجـي السـبت دا أجـازه و انـه موجـود بالصدفـة علشـان لسـه راجـع مـن البريمـة

- كـداب ، وجيـه دا كـداب و مـش بيحبنـي علشـان كان عـاوز يمـشي معايـا و أنـا بهدلتـه

- و قال كمان انك ماشية مع المهندس اللي اسمه فريد دا ، اللي أمك بتقول كمان انه جالك لحد هنا من كام شهر

- ايوه جه عادي دا كان .....

- اخرسي ،

صرخت فيّ أمي و هي تمسك بذراعي بعد أن قامت فجأة من مكانها و اتجهت إلي قائلة

- انتي كفرتي يا ايمان ، كفرتي ؟ المهندس وجيه دا بيقول انك بتصلي صلاة مسلمين وعندك في الدرج بتاعك مصحف و طرحه، و انه مرة شافك بتصلي زيهم في أوضه اجتماعات

- ابن الو.....،، كداب يا ماما كداب ، و حياة المسيح و العذراء، و رحمة بابا الغالي ، دا كداب بيفتري عليا صدقيني ، أنا اكفر أنا ، دا أنا بنت متي عزيز و زيزي غالي ، ازاي اعمل كده ، دا المسيح في دمي، كداب يا ناس ازاي تصدقوه

ببكاء و دموع تماسيح تكلمت و انفعلت

قامت ريفان و كانت في إجازتها الصيفية هي و زوجها و أولادها المقيمين في كندا ،

- اهدي بس يا حبيبتي اهدي ، صدقيني أنا قلت لهم كده ، ايمان مش ممكن تعمل كده ، و لا تزعل منها بابا و لا تحط راسنا في الطين

- يعني انت مكفرتيش يا بنتي

- ازاي يا ماما تصدقي في حاجة زي دي ؟

و انفعلت بصدق فأنا كنت أحاول ألا أتخيل هذا الموقف برمته

- انتي عارفه احنا هنعمل إيه لو الكلام دا طلع حقيقي

- هتقتلوني طبعا

- لا ، انتي عارفة اننا مش بتوع الكلام دا خالص ، احنا كل اللي هنعمله اننا هنعلن وفاتك و نحرمك من ميراثك بالكامل ، صدقيني

ممكـن نفرقـه عـلي الغلابـة و لا إنـه ينوبـك منـه مليـم واحـد

- يا جماعة صدقوني كداااااب ، أنا مش ممكن اعمل كده

- طيـب انتـي ملكيـش مـرواح تـاني الشركـة دي ، بكـره أنـا هـروح اقدملـك اسـتقالتك، و هاجـي عليـكي اخـدك انتـي و ماما تقعـدوا باقـي الصيـف في العجمـي ، الفيـلا كبـيرة و ريفـان مـش هتيجـي كل المشـوار دا علشـان تصيـف لوحدهـا ، خـلاص العيلـة كلهـا هتقعـد في العجمـي تـلات شـهور الصيـف و مفيـش شـغل تـاني يـا ايمـان ، أبـوكي سـايبلك فلـوس لـو تقفـي عليهـا تشـوفي مـصر مـن فوقهـا ، انتـي مـش محتاجـة شـغل

- بس يا...

- مفيـش و لا كلمـة ، احنـا لمينـا الموضـوع و مرضينـاش نكلـم اعمامـك وعماتـك و نكـبر الموضـوع لأننـا كنّـا فعـلا مـش مصدقـين

- طيـب حـاضر زي مـا تشـوفوا ، أنـا فعـلا زهقـت مـن الشـغل و كنـت عـاوزه اخـد أجـازه شـويه

- لا مش أجازه ، مفيش شغل تاني

- حاضر

- ولاد اختـك هيباتـوا معاكـم و الصبحيـة السـواق بالعربيـة الكبـيرة هييجـي ياخذكـم

- حاضر

و بعـد أن خرجـوا أسـقط في يـدي و لَـم أكـن أعـرف كيـف سـأتصرف ، فمنـزلي قـد جهـز ، و حبيبـي في انتظـاري و الحيـاة التـي رسـمتها في السـنة الماضيـة تـكاد أن تتبخـر في الهـواء أمامـى

ثم تذكرت خبر وفاة الشيخ الجليل والد صديقتي العزيزة

- ماما أنا لازم أعزي فاطمة

- مش هتنزلي من البيت

- إيـه يـا زوزا انتـي زعلانـه منـي والا إيـه ، ايـاكي انـك تصدقـي عنـي في

يـوم إني ممكـن أحـط راسـكم في الطـين و لا اخـون عهـدي مـع ربنـا ، دا أنـا بحـب ربنـا كتـير و انتـي الـلي مربيـاني و عارفـه

- يسوع يرعاكي يا حبيبتي ،دا أنا قلبي انكسر عليكي الليلة دي

- بعـد الـشر عليـكي يـا سـت الحبايـب ، بـس أنـا لـو هسـافر بكـره تـلات شـهور مـش هعـرف أعـزي فاطمـة كـده خالص

- معلهش اضربيلها تلافون

- ميصحش يا ماما دي صاحبة عمري برضه

- إخواتك قالوا مش هتطلعي من البيت

- ايـوه دا عـلي كلام الحيـوان الـلي اسـمه وجيـه دا ، أصلاً أنـا مقولتلكيش دا كان هيمـوت و يتجـوزني و هـو مـش كويـس ، مـش كويـس خالـص سـمعته زفـت و لمـا هزأتـه ادام الموظفـين و شـكيته لـلإدراة عملولـه تحقيـق و أخـد جـزا، فهـو ماصـدق بقـي و قـال يردهـالي و يعمـل فيَ مهمـوز

- طيب صحي حد من ولاد اختك دول يروحوا معاكي

- دول مـش بيصحـوا دول عندهـم (جـت لاج) مـن تغيـير المواعيـد بـين هنـا و كنـدا ، مـش هيصحـوا صدقينـي

- طيب أنا هاجي معاكي

- جـرا إيـه يـا ماما ، للدرجـة دي مـش مصدقـاني ، أنـا حلفتلـك و قولتـك ، مـش معقـول كـده يعنـي ، بابـا لـو كان عايـش كان زمانـه حـماني و دافـع عنـي ادامكـم كلكـم ، بابـا لـو كان عايـش ...

- خـلاص خـلاص ، طيـب انـزلي بـس تروحيلهـا مـشي مـش هـي في الشـارع الـلي ورانـا ، متاخديـش شـنطتك انـزلي زي مـا انتـي كـده عزيهـا و تعـالي عـلي طـول

بملابـسي كـما كنـت و بحـذائي العـالي و بـدون حقيبتـي نزلـت مـن البيـت ، البيـت الـذي لـن أدخلـه ثانيـة أبـدا بعـد هـذه الليلـة

18

- إيه يا ايمان مالك، مش فاهم حاجة من عياطك ، في إيه أنا مش لسه سايبك من ساعتين ؟ حصل ايه؟ اهدي طيب بس علشان أفهمك

نزلت من البيت لا أدري ماذا أفعل ، لا أملك سوي نفسي ، كيف سأتصل بفريد ، أين أذهب ؟ حتي صديقتي فاطمة لا أستطيع أن أذهب إليها الآن وهي في هذا الحدث الجلل لأطلب مساعدتها، كنت أنوي أن أفرحها بإسلامي و أفرح والدها الذي توفي و لن أستطيع حتي أن أعزي فيه ،

ليس معي أية أموال لأحدث فريد علي الهاتف ، ليس معي ملابس ، أين سأذهب و أين سأقضي ليلتي هذه ؟

(و اصبر و ما صبرك الا بالله ،و لا تحزن عليهم و لا تك في ضيق مما يمكرون ،إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون) النحل الآية ١٢٧

علي هذه الآية وقفت علي باب العقار و الذي كان حارسه يضع مذياعه الصغير بالقرب منه و يجلس القرفصاء علي كنبته الخشبية ، ولما رآني قلل الصوت بحركة لا إرادية و لكن رسالة الله لي قد وصلتني كاملة، مسحت دموعي و تنفست بطريقة طبيعية عدة مرات قبل أن أقترب منه

- مساء الخير يا عّم إسماعيل
- مساء السعادة يا ست البنات
- معلش أنا نسيت محفظتي فوق ...
- اطلع اجبها لسعادتك
- لا مش مستهله، لو ممكن بس تديني جنيه ، و لما ارجع هديهولك

- آه أوي أوي عيني لحضرتك

و أخرج كمية من القروش المعدنية يحاول عدهم

- معايا خمسين قرش بس و الله يا آنسه ايمان

- طيب معلش أنا هاخد ٢٥ و اسيبلك ٢٥

- لا لا و اللـه أنـا معايـا تـاني جـوه الأوضـه ، خديهـم دول و انـا معايـا و اللـه

- لا معلش يا عّم إسماعيل أنا مش محتاجه غير ٢٥ قرش

خرجـت أمـد الخطـا حتـي وجـدت المـترو الذاهـب إلي رمسـيس فقفـزت فيـه بسرعـة و جلسـت بجانـب الشـباك و عـلي غـير المتوقـع نظـرت إلي شرفـة منـزلي المطـل عـلي الشـارع لأجـد أمـي قـد وقفـت تنظـر إلي كانـت تطـل مـن الشرفـة لـتراني ، و رأتنـي و أنـا أعـبر الشـارع و أقفـز في المـترو ، و لوهلـة تلاقـت أعيننـا ، و عـلي الرغـم مـن نظـرة الحـسرة و الأسي التـي رأيتهـا في عينيهـا إلا أنهـا لم تردعنـي و لَـم ترجعنـي عـن مجهـول أنـا لا أعلمـه ، لا أنـسي مـا حييـت تلـك اللحظـة ، اللحظـة التـي كشـفت لأمـي كـذبي عليهـا ، اكتشـافها أننـي قـد كفـرت مـن وجهـة نظرهـا ، اللحظـة التـي مـت في قلبهـا قبـل عينيهـا ، كـدت أسـمعها و هـي تـصرخ و فمهـا مغلـق ، تنعتنـي بأقبـح الصفـات أقلهـا أني كاذبـة و أني قـد وضعـت رؤوسـهم و رأس أبي في الـتراب ، و أني قـد تفوقـت في التمثيـل عليهـم جميعـا منـذ قليـل حتـي أنهـا تعاتـب نفسـها أنهـا سـمحت لي بالنـزول ... كل هـذا مـر عـلي في هـذه اللحظـة التـي تلاقـت فيهـا أعيننـا ،،

نزلت إلي محطة رمسيس لأتوجه إلي أقرب كشك و أتصل بفريد

- خليكي واقفة مكانك أنا هطير و أجيلك

و بالفعـل أقـل مـن نصـف سـاعة وصـل فريـد مـن المعـادي لرمسـيس و اسـتقليت السـيارة معـه لأرتمـي في حضنـه و أبـكي بـكاء مريـرا

- متخافيـش يـا ايمـان ، طـول مـا أنـا معـاكي متخافيـش ، أنـا أهلـك و

أبـوكي و كل دنيتـك ، مـن النهـاردة خـلاص مالنـاش غـير بعـض

- هنروح فين دلوقت

- لازم نـروح البيـت عنـدي ، مـش هينفـع نـروح الشـقة بتاعتنـا ، انتـي عارفـه لازم ندخلهـا عريـس و عروسـة و زغاريـد و كـده ، لحسـن النـاس تفتكـر فينـا فكـر مـش كويـس

- نروح عندك البيت ازاي و مامتك ،

- لا متخافيش أنا اديتها فكرة و انا بلبس و نازلك

كنـت أتمنـي أن يكـون بالعقـل خاصيـة (حـذف) ، لمحـو هـذا اليـوم مـن ذاكـرتي ، فإنـه مـن أسـوء أيّـام حيـاتي

عندمـا دخلنـا إلي بيـت فريـد و أنـا في تلـك الحالـة ، ليـس حتـي بيـدي حقيبـة يـد أتمسـك فيهـا و أمسـح عـرق يـدي ، أو حقيبـة ملابـس أسـتند عليهـا و أعتبرهـا سـكني الجديـد ، كنـت عاريـة تمامـا ، نعـم عاريـة ، فأنـا بـلا أهـل أو عائلـة و الآن في وضعـي الجديـد أنـا أيضـا بـدون اسـم ، فاسـمي كان (ايمـان عزيـز متـي) و لم يعـد هـذا اسـمي

أتخيـل لوهلـة هـل كنـت أسـتطيع أخـذ مثـل القـرار و أبي عـلي قيـد الحيـاة ،

هـل أنـا في حالـة نـدم الآن ، أم في حالـة نكـران لمـا فعلتـه، هـل المسـيح وأمـه تـبرؤوا منـي ، هـل تذكـرت هـذا و أنـا أخفـي تماثيلهـم مـن حجـرتي بحجـة أني أرسـلتهم للتجديـد و الإصـلاح ، أأشـعر بالحنـين إليهـما الآن ، أريـد أن أحضنهـما بشـدة ، لا أعـرف هـل قلبـي أم عقـلي هـو مـن يتفـادي الآن كلمـة إسـلام و مسـلمين و اللـه و محمـد ،، أغمـض عينـي عـلاني أمسـك في خيـط، أو يـد ترجعنـي عـن هـذا الشـعور و الإحبـاط و الخـوف ، هـدي أي آيـة مـن آيـات الهـدي و الصـبر ، آيـة الراهـب المسـلم ، صـورة فاطمـة ، صـوت أبيهـا ، حضـن أمهـا القـوي

لا أسـتطيع كأنهـن حبـال تبـدو مـن بعيـد قويـة و عندمـا أتعلـق بهـا

لتنقـذني أجدهـا كطفـي السـجائر.. بـودرة رخـوة

تملكتني هذه المشاعر في الطريق من رمسيس لبيت فريد

دخلـت بيتـه عـلي اسـتحياء لأجـد أمـه ترتـدي روب بيـت عـلي قميـص نـوم و تجلـس عـلي كـرسي عريـض ، ملامحهـا تقـول أنهـا تنتظـر مصيبـة حلـت عليهـا مـن السـماء و تأخـذ وضـع الهجـوم عليهـا ، سـيدة رفيعـة طويلـة ذات شـعر بنـي محمـر مـن جـراء الحنـة عليـه ، تضـع نظـارة سـميكة عريضـة تخفـي باقـي ملامحهـا و إن كانـت تظهـر عينيهـا أكـثر جحوظـاً ، اسـتقبلني والـده بترحـاب خافـت ضعيـف مرتعـش ،

وصلـت إليهـا فلـم تقـم ، سـلمت عليهـا و انحنيـت لأقبلهـا فرجعـت بظهرهـا رافضـة ، جلسـت إلي أقـرب كـرسي و كان للأسـف بجوارهـا ، و ذهـب فريـد إلي المطبـخ ليحـضر لي كوبـا مـن عصـير الليمـون

سـاد الصمـت بيننـا طـوال غيـاب فريـد في المطبـخ و الـذي شـعرت أنـه قـضي عامـاً

- دي ايمان يا ماما اللي حكيتلك عنها

- آه

و رد والده بصوت خافت كأنه يخشي شيئا

- أهلًا و سهلا يا بنتي

- أهلًا بحضرتك يا عمي

صمت آخر و السيدة تتفحصني من أخمص قدمي إلي أعلي رأسي

تنهـد فريـد و بـدأ يحـكي الموقـف الـذي حـدث لي الْيَـوْمَ لأهلـه و أنـا أنظـر إلي الأرض

- ماما أنا عاوزك تعتبري ايمان زي منال اختي

- منال ، ؟ منال بنتي متعملش كده ، بنتي متربية

- و أنا مش متربية يا طنط

نطقت بعفوية متسرعة

- اللي تسيب بيت أهلها و تهرب مع واحد تبقي إيه ياختي ؟

- لا أنا مهربتش مع واحد ، أنا سيبت بيت أهلي علشان هما دلوقت علي غير ديني ، أنا أسلمت

- و هو الإسلام كان ناقصك ، ماكنتي خليتك في دينك و سيبتيلنا احنا الإسلام مش محتاجك

- صح هو الإسلام مش هيزيد بيا أنا اللي زدت بيه

- و أهلك دول مش حرام عليكي تكسري بخاطرهم كده ، مصعبوش عليكي ، حطيتي دماغهم في الطين بعملتك دي ، و الله أنا صعبانة علي مامتك ، دي تموت بحسرتها

لم أرد

- طيب دلوقت احنا عاوزين نشوف هنعمل إيه ، احنا البيت تقريبا جاهز ، نحضر بس للفرح و نتجوز

- و أهلها هيسبوك، دول ممكن يقتلوها و يقتلوك معاها ،

- لا أنا أهلي مش بتوع قتل ، هما هيعلنوا وفاتي للجميع و يحرموني طبعا من ميراث أبويا

- لا لا يا ايمان متقوليش كده ، هما بس شويه في الأول و مش هيقدروا يستغنوا عنك طبعا

- قولتلك قبل كده استحالة

- أنا معنديش غير ولد و بنت و مش مستعدة افقد ابني لأي سبب علشان اللي يسوا و اللي مايسواش

و بالطبع كانت تنظر إلي في كلمة (ميسواش)

أخيراً تكلم والده و علي استحياء و بضعف و صوت أضعف

- طيب دلوقت بس البنت تعبانة ، أنا اختي اعتماد ساكنة قريب مننا و هي أرملة وعايشة لوحدها ، ممكن يا بنتي تباتي عندها الكام يوم دول لحد ما نرتب أمورنا و نشوف هنعمل إيه ، و فريد لازم

تاخـد أجـازة مـن الشـغل لأن لـو أهلهـا بتـوع مشـاكل أو ناويـين ، أول مـكان هيروحـوا يـدوروا عليكـم فيـه هـو الشـغل ، و كـمان تقـدم لإيمـان أجـازة معـاك

- لا أنا هقدم استقالتي

نظـرت أمـه إلي أبيـه في غضـب عـارم حتـي أن فريـد و والـده قـد انكمشـا في كرسـيهما و أخـذا وضـع تفـادي شيء طائـر حـاد متجـه إليهـما تركتنـا و أغلقـت بابهـا بعنـف و هـي تبرطـم بكلـمات لم أحـاول فـك طلاسـمها

شهر كامل أجلس في بيت عمته ،

كنّـا قـد أنفقنـا سـتة آلاف جنيـه مـن العشريـن ألـف التـي كانـت بدفـتر التوفـير، و تبقـي أربعـة عـشر ، بدأنـا في تجهيـزات الفـرح و تعطلنـا أسـبوعين حتـي تسـتطيع أختـه الحضـور مـن السـعودية و ترتيـب أجـازة لأولادهـا مـن المـدارس ، و ذهبـت إلي السـفارة السـودانية لأسـتخرج وثيقـة سـفر جديـدة باسـم (ايمـان عبـد اللـه عزيـز)

فلم أستطع محو اسم متى من اسمي

و حدثـت بعـض المشـكلات في السـفارة مـن حيـث تغيـير الديانـة و الاسـم و لكـن في النهايـة تـم و اسـتلمت الوثيقـة و وعـدني فريـد أنـه بعـد عقـد القـران سـوف يقـدم لي عـلي الجنسـية المصريـة

- ايمـان أنـا كان نفـسي اجبلـك شـبكة تليـق بيـكي لكـن انتـي عارفـه الظـروف ، و مـش معقـول كـمان اجيبلـك هديتـك مـن فلوسـك ، كفايـة اننـا عملنـا كل حاجـة بفلوسـك ، أنـا هردهملـك كلهـم أوعـدك ، أول مـا الظـروف تتحسـن ، و كـمان شـبكتك

- أنـا عـاوزه شـبكتي فعـلا يـا فريـد بـس مـش خاتـم ألمـاظ و لا طقـم دهـب

- عاوزه إيه يا نور عيني

- عاوزه أول ما تقدر تطلعني احج بيت الله و أزور مسجد رسوله

- خلاص يا ستي وعد عليا أول ما الظروف تتحسن هوديكي تحجي

و حجزنا إحدي القاعات علي نهر النيل المخصصة للأفراح و تعمدت ألا أري والديه طوال هذه الفترة و إن كانت عمته التي أقطن عندها تخشي والدته أيضا فتعاملت معي بتحفظ و كأني أستأجر منها غرفة في فندق متواضع صغير ، أدخل ليلا علي حجرتي أتوضأ و أصلي و أقرأ قليلا من القرآن ، و أبكي و أنام

كل ليلة في الثلاثين ليلة أنام و أنا أبكي ، أري أبي في أحلامي ينظر إلي بغضب و وجهه أحمر بلون الدم و كلما اقتربت منه ابتعد هو عني ،

قبل فرحي بيومين و كنت لا أشعر بأي إحساس من تلك الأحاسيس التي تشعر بيها أي عروس قبيل دخلتها بيومين ، فلم أذهب إلي تلك الصالونات للعناية الشخصية و لَم أهتم أن أتفق مع مصمم لشعري أو لتجميلي ، فقط ذهبت مع فريد لشارع جديد في منطقه مدينة نصر اسمه عباس العقاد اشتري لي منه فستان فرح بسيط جدا و طرحة ، و دفع حسابهم من فلوس كنّا قد سحبناها لحجز القاعة و الاتفاق مع الزفة التي سوف تزفنا و ذلك الفستان ، لأنه كما قال لي أنه لا يستطيع أن يسأل أهله علي أي أموال و أن والدته أصلا مازلت رافضة للقصة بأكملها و يخشي ما يخشي ألا تحضر الفرح

كما أنه بدلا من أن يقدم أجازة له و استقالة لي قدم استقالتنا نحن الاثنين

- ليه يا فريد؟

- أحسن يا ايمان ، أنا لسه قلقان من اخواتك ممكن يعملوا فيا حاجه

- اخواتي مش ممكن يئذوا نملة و لا حتي هيبلغوا الكنيسة و لا أمن وطني و لا قومي ولا أي حاجه

- معلش كده أحسن برضه خلينا في الأمان

- طيب و هتعمل إيه

- هقـدم في حتـت تانيـه ، واهـو الحمـد للـه لسـه معانا قرشـين يعيشـونا سنة لادام

أختـه أظهـرت لي حبـا غريبـا مـن أول مـرة رأتنـي ، أحضـان و قبـلات كأني كنـت أعرفهـا مـن عشريـن عامـا ، و إن شـعرت في لحظتهـا أنهـا مشـاعر ليسـت صادقـة بالمـرة ، و نظـرات زوجهـا الطبيـب المـصري الخانـع تقـول لي (اهـربي ، انفـذي بجلـدك)

يـوم الفـرح و كنـت قـد جهـزت و ارتديـت الفسـتان وحـدي و وضعـت التـاج و القليـل مـن مسـاحيق التجميـل و أبعدتهـا عـن عينـي لأن دموعـي كانـت لا

تتوقف و لَم أستطع إيقافها

أمسكت قرص التليفون لأدير رقم منزلي ، لترد علي أمي

- آلو

- آلو... مين

- أنا ايمان يا ماما

- ايمان مين

- ايمان بنتك يا زوزو أنا ...

- أنا ايمان بنتي ماتت أدلها شهر

و أغلقت السماعة بعنف

خرجـت إلي الزفـة التـي زفتنـي إلي مصـيري الجديـد ، مصـيري المحتـوم المكتـوب

حفلـة صغـيرة و عـروس باكيـة و عريـس مضطـرب هـو و أهلـه و كثـير مـن المعازيـم الذيـن لم أعـرف شـخصاً واحـداً منهـم

كان هـذا فرحـي ، حتـي أني حاولـت أن أتجنـب التصويـر الفوتوغـرافي

حتـي لا تصبـح ذكريـاتي لهـذا الْيَـوْم بهـذا الشـكل

و أكـثر مـا أثـار اسـتغرابي أن منـي و عمـرو لم يحـضرا و لم أسـمع عنهـما منـذ ذلـك الْيَـوْمَ ، وَ لَا أعـرف لمـاذا لم أتصـل بفاطمـة لأدعوهـا ، هـل كنـت أعاقـب نفـسي بـألا أحـد معـى الْيَـوْمَ ، أم لأني لم أعزهـا في والدهـا و أنـه لم ينقـضي الأربعـين بعـد وفاتـه بعـد ، و ليـس مـن الأصـول أن أدعوهـا لفرحـي ، لا أعلـم و لكنـي كنـت فعـلا وحيـدة تمامـا ، لا أهـل و لا إخـوة و لا أصدقـاء

19

في أول ليلة و فِي منزلي الجديد الذي دخلته هذه الليلة و أنا أشعر أنه ليس منزلا جديدا وحسب بل أنه بداية لحياة جديدة مختلفة تماما عن السبعة و عشرين عاماً الماضية ، بداية لحياة اخترتها بملء إرادتي كاملةً ، و رغم أني حضرت إليه عشرات المرات في الخمسة أشهر الماضية و أنا أجهزه ، إلا أنني و عندما دخلته هذه الليلة عروسة باكية مكسورة خائفة ،، أحسست و كأني أول مرة أراه ، شعرت أن حيطانه و كأنها أصبحت كمرايا أري نفسي فيها عارية و أن هذا الأثاث الذي اشتريته باختياري و ذوقي قد تحول إلي شواهد قبور ، أري أبي و أمي و إخوتي في كل ركن يلعنوني و أري المسيح و العذراء و قد أشاحا بوجهيها عني بغضب ، مازال هذا الإحساس يتملكني حتي و أنا أعبد الله حق عبادته و لا أعرف لماذا ، فأنا قد اقتنعت بالإسلام حق إقتناع و يقين ، و أرسل الله لي الكثير من الرسائل التي أدركتها

كنت أتخيل أن فريد فاهم ما أعانيه وما هو شعوري و حالتي النفسية في هذه الليلة و كنت أتعشم أن أجد في حضنه سكنا و أهلا و سندا ، كان هو فقط ما بقي لي في هذه الحياة ، و كان سقف طموحاتي تجاهه عالياً في عنان السماء مما كان يطمئنني كثيرا ... و لكن وجدته قد غلبت عليه شهوته القوية العنيفة و أخذني أخذا أرعبني و أحبطني ، و سقط بتوقعاتي إلي سابع أرض ، لم يربت علي ، لم يتحدث و يسألني عن ما آلمني ، عن بكائي لبعد أهلي يوم فرحي ، عن كسرتي و وحدتي و إحساسي بنفور أهله مني ، لم يحادثني و لَم يحاول حتي أن يمسح دموعي .

و لكن كالعادة تصورت أنه بلا خبرة في هذا الموضوع و أن ما فعله

مـا هـو إلا رغبتـه فيّ و حبـه الجـارف قـد جعلـه عنيفـا إلي هـذا الحـد ، و غـير مبـال بحالتـي النفسـية ،

رفـض فريـد أن نسـافر إلي أي مـن تلـك الأماكـن التـي يقضي بها العرسـان أيامهـم الأولي ، و ظللنـا في البيـت يقـضي نهـاره و ليلـه في معـاشرتي بتلـك الطريقـة ، و أنـا يمتلكنـي صمـت غريـب و خنـوع و خـوف و مشـاعر كثـيرة متضاربـة ، حتـي انقـضي الأسـبوع الأول و لَـم يطـرق أحـد بـابي سـوي تلـك الجـارة في الشـقة السـفلية غريبـة الأطـوار والتـي وجدتهـا عـلي بـابي نهـارا تحمـل طبقـا مـن الحلـوي و ترتـدي ملابسـا غريبـة ، و الأغـرب أن فريـد قـد رحـب بهـا ترحابـاً كبـيرا و رأيـت نظراتـه و هـو يتفحـص جسـدها شـبه العـاري بشـهوانية عارمـة ، عرفنـا منهـا أنهـا زوجـة لتاجـر مـن بورسـعيد و يحـضر إليهـا فقـط في نهايـة الأسـبوع و أنهـا سـعيدة بوجودنـا حيـث أن الوحـدة تـكاد تقتلهـا باقـي الأسـبوع و أنهـا سـوف تتخـذني صديقـة و أختـا أحـن عليهـا في وحدتهـا ، و إن كانـت تنظـر إلي فريـد و هـي تحادثنـي

- هو ليه البيت مش نضيف؟

- معلش أنا لسه عروسة بقي و في شهر العسل وكده يعني

- لا دي حاجـة و دي حاجـة ، أنـا بحـب اقعـد في مـكان مترتـب و النظافـة بتشـف منـه ، و الروايـح ، خـلي بالـك مـن الروايـح ، أنـا اكـتر حاجـة بتعصبنـي في الدنيـا لمـا اشـم ريحـة بصـل و لا طبيـخ ، لازم تهـوي البيـت و تولعـي بخـور و لا تـرشي حاجـة ، آه حاجـة كـمان يـا حبيبتـي ، لازم تغسـلي كل يـوم و تكويـلي الهـدوم حتـي الغيـارات الداخليـة ، معلـش يـا روحـي ، أنـا ليـا طلبـات كتـير شـويه ، واهـو فرصـة انـك سـيبتي الشـغل و فاضيـة هتلاقـي حاجـة تسـليكي ، آه و كـمان مينفعـش خالـص يـا حيـاتي تنـزلي مـن البيـت مـن غـير مـا اعـرف و لا تتصـلي بحـد ،

- هاتصـل بمـين يعنـي و لا أقابـل مـين ؟ بحـسرة و ألم رددت و دمعـة محبوسـة بـين الضلـوع قبـل العيـون ، تـكاد تفتـك بي

بـدأت في تنفيـذ كل أوامـره و كنـت أيضـا أعـذر هـذا إلي أن الـزواج و البيـت مسـؤوليتي فهـو لم يطلـب شـيئا غريبـا ، الـشيء الـذي وقفـت عنـده قليـلا هـو علاقتنـا الخاصـة ، فهـو لم يبـد أي اهتـمام بمتطلبـاتي و رغبـاتي ، فقـد كنـت بمثابـة أداة مفعـول بهـا فقـط ، و كأنـه لم يعـرف قـط أن الزوجـة أيضـا تسـتمتع بالعلاقـة أو لهـا شـهوتها ،

كنـت أقـضي يومـي مـا بـين تنظيـف و طبيـخ واسـتعداد لليـل، و مـا تبقـي لي مـن وقـت كنـت فقـط أصـلي ،، أصـلي حتـي في غـير أوقـات الصـلاة الأساسـية ، أصـلي و أدعـو اللـه و أنـا سـاجدة

(يـا رب هـا أنـا قـد أتيتـك راكعـة سـاجدة باكيـة ، أطلـب عفـوك و غفرانـك ، امسـح عـلي قلبـي يـا رب يـا كريـم و اشـملني بفيـض رحمتـك الواسـعة)

و ذات صبـاح اسـتيقظت عَـلِي ألم شـديد في بطنـي جعلنـي أصرخ فذهـب بي فريـد إلي المستشـفى ليبـارك لنـا الطبيـب عـلي هـذا الحمـل السريـع فنحـن لم يمـض عـلي زواجنـا سـوى ثلاثـة أشـهر فقـط

- أنا عاوز ولد
- كله حلو
- لا أنا عاوز ولد
- ايوه و أنا اعمل ايه يعني ، اللي يجيبه ربنا كله خير
- لا أنا عاوز ولد ، فاهمة
- حاضر

اعتـدت عـلي قـول حـاضر ، ربمـا كنـت أهـرب مـن النقـاش ، كأني كنـت تحـت تأثـير سـحر أسـود غريـب ، أري الخطـر و لا أسـتطيع تفاديـه ، أفهـم مـا بـين السـطور و أتغـابى ، أشـعر بحنقـة في حلقـي فأضحـك، أشـعر بضيـق في صـدري فأغنـي بصـوت عـال و أرقـص بهسـتيريا ،

و أضحك ، نعم ... أضحك

كنت في حالة إنكار دائم، أقف أمام المرآة فلا أعرف من هي أمامي ، و أري نفسي دائماً عارية حتي و أنا أرتدي كامل ملابسي... أتناسى ما حدث و ما يحدث و أري نفسي في أماكن كنت أحبها و مع أناس لا أعرفهم و لكنهم سعداء ، و أشعر بمثل سعادتهم و أضحك

الحالة الوحيدة التي كنت أشعر فيها أنني علي طبيعتي هي و أنا بين يدي الله ، في صلاتي التي كنت أطيلها جدا و كأني أهرب فيها و إليها

- كل دا بتصلي ؟

ذات مرة من المرات التي لا تتعدي أصابع اليد الواحدة جاءت و الدته و والده لزيارتنا للمباركة علي الحمل

- علي فكره انتوا فاهمين الصلاة غلط ، مش لازم تتلفحي بكل الهباب اللي علي راسك دا و تطولي كده

- ازاي يعني يا طنط ، هو حضرتك بتصلي من غير حجاب

- آه طبعا ، الحجاب دا اختراع وهابي قمئ ، انتي مش شايفة نفسك من بعد ما لبستيه شكلك اوحش اكتر ازاي ،

- إيه يا ماما اللي انتي بتقوليه ده دي ايمان قمر بالحجاب و من غيره

- أمر بالستر يا اخويا

- بس يا طنط الحجاب مذكور في القرآن ،

- فين دا يا حبيبتي ، مفيش آيه في القرآن بتقول الست تلبس إيه

- لا في الحديث ...

- الحديث دا كتبه بشر ربنا يعلم كانت ظروفهم إيه

- بس يا طنط

- خلاص خلاص يا ايمان بلاش نفتح في الكلام دا دلوقت ، قومي حضري لنا الغداء يلا

قال لي فريد و هو يقف أمامي و ظهره لأمه و يغمز بعينه بمعني لا تتمادي في الحديث أكثر من ذلك

- علي فكره يا ايمان انتي فاهمة الإسلام غلط زي كتير من الشيوخ الأغبياء اللي بيطلعوا في التلفزيون دول و يضحكوا علي عقول الهبل اللي زيك و يقولولهم يلبسوا إيه و ميلبسوش إيه و يصلوا ازاي و يعملوا إيه قبل الأكل و بعده (ضاحكة كانت تتكلم باستهزاء) و حاجات تانية كتير ، كلها غلط في غلط

و الغريبة انها كانت بتصلي و لكن ليس بوضوء و لا في اتجاه القبلة و لا ترتدي أي شيء علي رأسها

- هو في كده يا فريد

بعد أن رحلوا سألته

- بصي ماما طول عمرها عندها كده معتقدات غريبة ، متاخديش في بالك

- ايوه بس الوضوء مذكور ...

- لا هي بتقول انهم كانوا أيام زمان مش نضاف علشان بيعملوا تواليت في الصحراء و كده لكن احنا دلوقت عندنا ميه و نضاف

- طيب و...

- سيبك بقي من الموضوع دا دلوقت و تعالي ندخل ننام ورانا مهام جسيمة

انقضت الستة أشهر الأولي و كنت كثيرا أحاول أن أتصل بأمي بوازع من فريد و خصوصا بعد الحمل ، و لكن كانت النتيجة دائماً واحدة

- ايمان بنتنا ماتت

و في يوم و كنت في أواخر الشهر الثالث من الحمل و كان فريد قد عين في إحدي شركات البترول المصرية و يأتي من العمل في الثالثة عصرا ليجدني قد رتبت البيت و حضرت الغذاء ، لينام قليلا و يطالبني أيضا

بحقوقه الزوجية و بعد أن يستيقظ يخرج لمقابلة أصدقائه أو يذهب إلي بيت والديه ، و فِي المساء يحضر أكون قد حضرت العشاء و تحضرت للواجب الليلي

و لكن في هذا الْيَوْم شعرت بتعب كبير فلم أستطع أن أقوم من النوم حتي ميعاد رجوعه ،لأفاجأ بثورة عارمة صدمتني و نرفزة شديدة بهياج عصبي أرعبني و جعلني أنكمش حول نفسي و أضع كلتي يدي علي بطني و كأنني أصم أذنى جنيني عن هذا الصراخ

- و الله تعبانة أوي و مش قادرة افتح عيني ، معلش أنا آسفه ، ممكن تتطلب أكل من بره النهاردة أو تعمل انت أي حاجة

- أطلب إيه يا اختي ، ليه قاعد علي تل فلوس أنا ، و أنا اللي أعمل ،، انتي اتجننتي ، أنا الراجل يا ست هانم ، فوقي لنفسك

- تعبانة يا فريد الحمل تاعبني

- ليه هو انتي أول واحدة تحمل ، دا انتي مرزوعة في البيت و لا شغله و لا مشغله ، بتتطفحي بس زي البغلة قلة صنعة و كترة مرعى

- إيه دا انت بتشتمني ازاي كده

و أنا أبكي و أرتعد ليس من الصوت و لكن من المفاجأة

أشتمك و اضربك كمان

و عندما خلع حزامه و هوي به علي صدري و ظهري عدة مرات ، فقدت الوعي

20

لم تكـن المـرة الأولي و لـن تكـون الأخـيرة ، فقـد ظهـر لي فريـد عـلي حقيقتـه بعـد سـتة أشـهر فقـط مـن الـزواج

شـخص سـادي مقـزز مريـض نفـسي، اشـتري خادمـة بأموالهـا هـي و كان يطمـع في المزيـد و عندمـا يئـس مـن حصـولي عـلي مـيراثي سـقط في يـده زواجـه مـن سـيدة قبيحـة سـوداء بـلا أي مميـزات مثـلي ، كـما كان ينعتنـي في كل واقعـة تنتهـي بـضربي ضربـاً مبرحـا

بعـد المـرة الأولي و التـي كنـت في صدمـة مـما حـدث جعلتنـي أفقـد الوعـي و أسـتيقظ عليـه و هـو فوقـي حرفيـا يمـارس حقوقـه مـع جثـة يسـيل مـن وجههـا الدمـاء

قمـت بـلا أي كلمـة و وقفـت تحـت حـمام مـن المـاء البـارد ، هـل أمـات المـاء البـارد خلايـا عقـلي و دمـر مركـز الإحسـاس في جسـدي ،

لمـاذا لم أصرخ ، لم أدافـع عـن نفـسي ، لمـاذا لم أجـري لأسـتنجد بأحـد ؟، أطلـب أحـدا ؟

من ؟؟؟؟؟

أخرج من البيت ؟

إلي أين ؟

أضربه و أوقفه عند حده بأي طريقة

كيف و أنا هزيلة ضعيفة و حامل

أستنجد بمن و أطلب مساعدة من و أحتمي وراء ظهر من

فأنا عارية

عارية عارية

بعـد هـذه الواقعـة و صمتـي الغريـب تعامـل فريـد معـي و كأن شـيئا

لم يحدث نهائيا ، يتكلم و يضحك و يسألني عن أحوال الجنين ، أنظر إليه في بلاهة عجيبة و أضطر أن أرد عليه و كأن شيئا لم يكن و لا أعرف لماذا ،

و كنت قد قررت أن أحافظ علي نفسي من أجل جنيني فطالما أنا أنفذ كل رغباته فأنا أتفادي ما حدث ، و وصلت لمرحله جديدة في حياتي و هي أني أتجنب أن أنظر إلي نفسي في المرآة ، و كأنني أخشي أن أتحدث إلي نفسي و أعاتبها، كنت أسرح شعري و أضع مساحيق تجميلي و كأني كفيفة ، بل تماديت و أصبحت أغلق عيني طالما أجلس وحدي ، أقرأ القرآن سماعيا مع المذياع ، أصلي و أنا مغمضة عيني حتي اعتدت علي الظلام و أصبح الضوء يتعبني

و لكني كنت أتذكر والدي و تعلميه لنا ان نضحك في أحلك المواقف ، فالضحك يفتح بالقلب بابا يرتد بالسعادة حتما ، و لكن بابي لم يستوعب ضحكي بعد

و الغريبة أنه كان في حالته الطبيعية يشعرني أنه يحبني حبا جما و أنه يستعد لأن يكون أبا للولد القادم و الذي اختار له اسم (محمد)

- أنا هسميه محمد

- جميل علي اسم النبي عليه الصلاة و السلام ، طب و لو جت بنت ح نسميها إيه

- مفيش بنات هتيجي

- لا حول و لا قوة إلا بالله ، ازاي يعني

- أنا قولتلك من أول يوم أنا عاوز ولد

- أستغفر الله العظيم ، و هو دا بإيدي أنا

- بقولك ايه ، مش عاوز استعباط أنا قولتلك ولد يعني ولد ، لو جبتي بنت هقتلك انتي و هي

- أنا مش مصدقة انت بتتكلم بجد ، انت مهندس و متعلم و

فاهـم إن دي حاجـة بإيـد ربنـا مَـش بأيدينـا

- مليـش دعـوة بالـلي انتـي بتقوليـه دا ، روحـي اسـألى بقـي و اتـصرفي ، لازم يطلـع ولـد و مـش هتكلـم تـاني في الموضـوع دا

- حاضر

عندمـا دخلـت في الشـهر السـابع طلبـت منـي الطبيبـة المعالجـة أن أسـتريح لأن مـن الواضـح أن هنـاك مشـكلة في حجـم الجنـين

- انتي ضعيفة جدا انتي مش بتاكلي كويس والا إيه يا ايمان

- ازاي يا دكتوره دي بتاكل زي البغل ... قصدي زي الحصان ،

رد فريد بالنيابة عني ثم عقب

- بس طمنيني يا دكتوره الولد عامل إيه

- مين قال لحضرتك إنه ولد

- أمال بنت ؟

و هو يخبط يده في يده و تجحظ عينه من العصبية قال

- لا هو لسه مش واضح الصراحة عندي

- لا هو ولد أنا عارف

تدخلت أنا حتي لا يحدث ما لا يحمد عقباه

- طيب يا دكتوره حضرتك شايفه إيه في حالتي عموما

- أنـا شـايفه انـك ضعيفـة جـدا و صحتـك مـش مضبوطـة و محتاجـه فيتامينـات و لازم لازم تـاكلي كويـس أوي و كـمان تريحـي الشـهرين دول تمامـا ، مفيـش أي مجهـود خالـص ، تحـاولي تنامـي عـلي ضهـرك أطـول فـترة ممكنـة ، و كـمان يـا ريـت نقلـل مـن العلاقـة الزوجيـة شـويه

- نعم ؟ رد فريد في تجهم

كان مـازال متبقيـا حـوالى ثلاثـة آلاف جنيهـا في شـهادة الإدخـار الخاصـة بي و التـي يـصرف منهـا فريـد عـلي أكل البيـت و الإيجـار و أيـة مشـتريات خاصـة بالطفـل ، و كان مرتبـه مـن الشـغل الجديـد لا أعـرف أيـن هـو ،

فهـو يتعامـل أن هـذه الأمـوال التـي نمتلكهـا فقـط و علينـا الحفـاظ عـلي مـا تبقـي حتـي ميعـاد ميـلاد الطفـل ،

- اعمـلي حسـابك تـدوري عـلي شـغل مـن دلوقـت علشـان تنـزلي عـلي طـول بعـد الـولادة بشـهر كـده ، أنـا اتفقـت مـع ماما انهـا تاخـد بالهـا مـن محمـد طـول مـا انتـي في الشـغل

- شغل إيه ؟

- أمال فكرك إيه ؟ هنصرف منين ،؟

- إنت مش بتشتغل

- نعـم يـا اختـي ، و انـا ان شـاء اللـه اشـتغل و اطفـح الـدم علشـان اعلفـك ، انتـي مسـؤولة عـن نفسـك مـن هنـا و رايـح ، التـلات آلاف جنيـه أول مـا يخلصـوا ملكيـش في ذمتـي مليـم

- ذمتك إيه دا علي أساس انك كنت بتصرف عليا دا أنا ...

- انتـي إيـه يـا روح أمـك انتـي هتتكلمـي كـمان طـب و حيـاة أمـك الغاليـة الـلي سرقـت فلوسـك و دهبـك لآخـد الـواد و ارميـكي في الشـارع ، خـلي كلاب السـكك تنهـش لحمـك

رغـم أني سـكتت و لَـم أرد أكـثر مـما قلـت و رغـم أني كنـت منـذ قليـل عنـد طبيبـة تطلـب منـي الراحـة أمامـه إلا انـه خلـع حزامـه و هـوي بـه عـلي ظهـري بشـدة ، لم أفقـد الوعـي هـذه المـرة بـل كتمـت صراخـي ، فقـط أغمضـت عينـي و رأيـت أبي أحـاول أن أسـتجير بـه ، أمـد يـدي ليـس تفاديـا لضرباتـه ، و لكـن أحـاول أن ألمـس طـرفي يـدي أبي ، لأصـل إليـه فأضـع يـده عـلي جروحـي النازفـة فتشـفي ، أشـم عطـره فأنتشي و أشـعر أني أحلـق في عنـان السـماء ، أري أمـي و إخـوتي و قـد جلسـنا في حديقـة منزلنـا الواسـعة و التـي كانـت رائحـة الـورد تحـوم مـن حـولي و نحـن نلعـب الـكارت و نضحـك ، بـل كنـت أراني و أنـا جالسـة في الصـف أنظـر بنظـرة حـب و إعجـاب إلي جـورج و هـو يـشرح لنـا أحـد الـدروس ، و مـن بعـده

محمـد و أنـا أجلـس بجانبـه عـلي شـاطئ البحـر في بورسـعيد ، لمـاذا رفضـت فـادي و هـل كان رفـضي لـه نابـع فعـلا مـن حبـي للمسـيح و تعاليمـه ، هـل أتفـادي الآن الضربـة المقبلـة أم أتفـادي ذكـر المسـيح و أمـه اللذيـن لا ينفـكان أن يتواجـدا دائمـا في مخيلتـي ،

و اعتـدت أن أقـوم بعـد كل ضرب مثـل هـذا أن أقـف حتـي و لـو في أقـسي أيّـام الشـتاء تحـت شـلال مـن المـاء البـارد ، لم أكـن أشـعر ببرودتـه بـل كنـت أشـعر أنـه يجمـد جروحـي و يجعـل الدمـاء تتوقـف ،

كـما أنـه كان في أغلـب مـرات ضربـه يهـوي فوقـي ليأخـذ حقـه الشرعـي مـن جثتـه التـي قتلهـا للتـو

21

و جـاء الْيَـوْم الموعـود و كنـت في أقـصي درجـات التعـب و الإعيـاء ، فمـع أكلي الضعيـف و المجهـود المضاعـف الـذي حملنـي عليـه فريـد و كأنـه كان يعنـد مـع الطبيبـة جـاءني المخـاض قبـل ميعـاده بأسـبوعين ، و عندمـا أقسـمت لـه أني أمـوت حرفيـا و أن هنـاك خطـرا عـلي وليـدي قـام ليأخـذني إلي الطبيبـة و التـي أمـرت بفتـح حجـرة العمليـات فـورا لأن حيـاتي في خطـر كـما أن الطفـل يتنفـس ببـطء و هنـاك خطـورة عـلي حياتنـا معـا

عندمـا أفقـت مـن البنـج و فتحـت عينـي رأيـت ظلامـا دامسـا حتـي أننـي قـد أغلقـت عينـي و فتحتهـا عـدة مـرات ، وعندمـا أمعنـت النظـر حتـي أتبـين أيـن أنـا وجدتنـي عـلي سريـر المشـفى وحيـدة و ليـس معـي أي مـن البـشر لا فريـد و لا أهلـه و لا حتـي ممرضـة ترعـاني ، بحثـت بصعوبـة و أنـا في شـدة الألم عـلي أي زر أضغـط عليـه لأنـادي عـلي أحـد ، فلـم أجـد ، تذكـرت يـوم ولادة أختـي ريفـان الكـبرى لابنهـا الأول و كيـف اجتمعنـا في المستشـفى جميعـا حتـي أعمامـي و عـماتي و أقـارب والـدتي مـن السـودان و بعـض الأصدقـاء أيضـا حتـي اشـتكت إدارة المشـفى مـن الزحـام و كـثرة الـورود و البالونـات و الهدايـا التـي كانـت تزاحـم ممـرات المستشـفى ، و كيـف أن كانـت والـدتي تصـلي لهـا و هـي في حجـرة العمليـات و زوج خالتـي القسـيس يقـوم بطقوسـه حتـي قامـت

حاولـت أن أنهـض فوجـدت يـدي قـد علقـت بأسـلاك كثـيرة تمنعنـي عـن القيـام ، حاولـت أن أفتـح فمـي لأسـتغيث بأحدهـم ، فلـم أسـتطع ، سـالت دموعـي عـلي خـدي بشـدة كسـيول مطـر طرحـت عـلي أرض بـور ، تحـاول أن تحييهـا.

مـن أكـثر المواقـف المؤلمـة للإنسـان ألا يجـد أحـدا بجـواره في تلـك

المواقف ، لا أحد يفرح معه، أو يخفف ألمه ، أو يشاركه ما به ، أحد يستغيث به إذا تطلب الامر ... وعندها فقط تذكرت ، فقط قلت يا رب

يا رب

(إني أستغيث بك فأغثني)

هدأت قليلا و حاولت أن أستجمع قواي و أتذكر ما أحفظه من القرآن الكريم ، حتي فتح الباب و ظهرت الطبيبة متجهمة

- خير يا دكتوره ، النونو كويس طمنيني الله يخليكي

- النونو كويسه و زي القمر

- كويسه ؟

- ايوه انتي جبتي بنت زي القمر بس صحتها تعبانة شويه ، ايمان أنا عاوزه اقولك إني كنت عارفه انها بنت من الشهر الخامس بس شفت تعنت جوزك و انه عاوز ولد و بصراحة خوفت عليكي يجهضك و لا حاجه فمرضتش اقولكم ، طبعا أنا مش محتاجه اقولك اللي حصل في المستشفى لما عرف انها بنت ، دا اتهجم عليا أنا شخصيا و بصراحة طلبت له الأمن ، و حطيت البنت في حضانة بعيد عنه لأن كمان مامته كانت معاه و كانت عاوزه تاخدها بأي طريقة وانا خوفت عليها ، دول ناس مش طبيعية أبدا

- بنتي أنا عاوزه اشوف بنتي ، أرجوكي جيبيهالي ، و انا هاخدها و اهرب من هنا ، أرجوكي ساعدينا

- هو انتي فين أهلك يا ايمان ؟

- أنا مليش حد

- مالكيش حد ازاي

- ليا ربنا و بس يا دكتوره ، ماليش غيره

- و نعم بالله

- طب هما فين دلوقت لحسن يكونوا أخدوها

- لا متخافيش أنا لما بلغت الأمن حاول يضربهم و انفعل عليهم انفعالا كبيرا فطلبوله البوليس و هما دلوقت في القسم بيعملوله محضر

- أحسن

- نعم

- لا مفيش و النبي بس هاتيلي بنتي

دعاء

منذ أن حملتها للمرة الأولي أسميتها دعاء ، فهي سوف تنجو في هذه الحياة التي لم تخترها فقط بصلتها بالله و بالدعاء ، و هي أيضا دعائي إلي الله

سبحانك ربي كيف لهذا الأب أن يرزقه الله بملاك كهذا و لا يريدها كالكفار الذين كان يئدون بناتهم

جميلة جمالا مبهرا ، بيضاء البشرة و ذات شعر أسود كثيف و ناعم و عيون سوداء واسعة ،

و كأن الله يريد أن يطيب خاطري و يبعث لي مجددا بإحدى رسائله ، فبكل ذرة ألم و كل نقطة دم شلبت مني و كل دمعة و صرخة صرختها ،

جاءت دعاء لتمحوها بنظرة عينها الضاحكة و هي مازلت بنت يوم

، نعم كانت تنظر إلي عيني و تبتسم و كأنها تقول لي لا تحزني فها أنا جئت لأمسح كل أحزانك، ها أنا جئت لأعوضك عن الأهل و البيت و السند ، فأنا من الْيَوْم سأكون لك كل الأهل و كل السند ، سنمرح سويا و نلعب ، سوف تعلميني لعبة الكارت التي كنتي تلعبينها مع جدتي و خالاتي ، سوف نكون لبعضا البعض كما كان المسيح للعذراء ، و إذا سألك أحد قولي إني نذرت للرحمن صوماً

نعم من أول نظرة لي و نحن نتحدث سويا ، و نحن نبكي و نضحك

و نتقاسم كل المشاعر و الأحاسيس

نعم منذ نظرتها الأولي و أنا أشعر بطمأنينة غريبة و أشعر أني أصبحت الآن أقوي ، سأقوي لها و بها و سأقف لفريد من الْيَوْم ، لن يستطع ضربي مرة أخري و لن يستطيع إهانتي و لا سرقة أموالي و لا...

فتح الباب فجاء لأجده واقفا أمامي كالثور الهائج فضغطت علي طفلتي بشدة في حضني و توقف نفسي و شعرت أن هناك دم يغلي في رأسي و قطرات العرق تصفد من جبيني بغزارة ، و تلاشت كل القوة الوهمية التي ملأت صدري بها منذ قليل في لحظة ما رأيته

- إيه بقيتي كويسه دلوقت نقدر نروح ،،

تكلم و كأن هناك عسكريا يقف خلفه ، فصدمت

- آه أنا كويسه ممكن نمشي ، أنا سميتها دعاء

من تحت ضرسه برطم بكلام لم أسمعه و لَم أحاول، نهضت و أنا في مخيلتي مئة تصور ، سوف يرميني في الشارع و يأخذ الطفلة ليلقي بها في النيل ، أو سوف يقتلنا نحن الاثنتين ، أو سوف يضربني ضربا مبرحا و يضرب الطفلة أيضا و يخرج علينا غضبه و يتركنا في المنزل فقط ليعاقبنا

وصلنا إلي البيت فوجدت والدته قد أعدت لي طعاما ساخنا و والده قد وقف ليرحب بِنَا و أخذ الطفلة من يدي

- بِسْم الله ما شاء الله دي زي القمر ، سميتوها إيه ؟

- دعاء

- اللهم بارك ، يجعلها ذرية صالحة ،

و جاءت حماتي لتحملها و نظرت إليها نظرة إعجاب

- شوفت طالعة شبه فريد ازاي ، الحمد لله ماخدتش من أمها حاجه

الحقيقة لم يحدث أي من تصوراتي و لا أعلم لماذا ، و لا ماذا حدث

في القسم ، و إن كنت أشعر أن ما يحدث هذا ليس طبيعيا ، و أن الموضوع مازال فيه من الأسرار والغموض الكثير، لعلهم كانوا يضمرون لي مخططا معينا و يحتاج إلي فترة حتي لا يرتاب فيهم أحد ؟ أو ربما حدث شيء في القسم و اتخذوا عليه تعهدا ما علي حياتي و حياة الطفلة عندما قدمت الطبيبة المعالجة لي أنه ينوي شرا بعد معرفته بأن جنس المولود بنت ، إن هذا ما إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة ،سوف يظهر هذا في الأيام القادمة ، أما الآن فقط أريد أن أحتضن وليدتي لإشباعها من صدري و من حبي ، أريد أن أتحدث إليها ، أحكي لها عمرا طويلا ، أحكي لها كيف أن الأيام كافأتني بوجودها ، كيف أني إذا كنت أعلم أن بعد كل هذا العذاب سوف تكون هي فهو لم يكن عذابا علي الإطلاق فهو كل السعادة بالنسبة لي، سوف أحكي و أحكي و أحكي و لن أمل الحديث معك أبدا يا صغيرتي

مرت الليلة الأولي بسلام و إن كنت قد لاحظت أن فريد يحاول أن يتجنب الحديث معي ، بل إنه قام لينام علي كنبة الصالون ، سهرت طوال الليل ليس بفعل سهر الأطفال كالمعتاد و لكن من قلقي من أنه سوف ينتظرني لأنام فيخطف الطفلة أو يحدث بِنَا مكروها ، حتي الطعام الذي أعددته أمه لم آكل منه إلا بعد أن رأيتهم يأكلون منه أولا

في صباح الْيَوْم التالي و كنت علي شفرة من الإعياء بسبب قلة النُّوَّم و تعب الولادة ، جاءت جارتنا المريبة لتبارك لي و أعطتني ظرفا به خمسون جنيها نقطة للمولود كعادة المصريين ، فوجدتني أخفي الظرف و لا أقول لفريد عليه

تركتني لتذهب إلي المطبخ لصنع كوب من الحلبة باللبن للمساعدة علي إدرار اللبن لي كما قالت ، و لَم أنتبه أن فريد بالخارج وحده و أنها قد غابت كثيرا في صنع الحلبة

و مر الأسبوع الأول علي هذا الحال ، و أنا في شك كبير لما يخطط

لي ، و فريد ينام بالخارج و والدته و الجارة يأتون إلي المنزل كثيرا لصنع الطعام و تنظيف البيت

و فِي نهاية الأسبوع فوجئت بحماتي تحمل الشموع و أكياس السبوع و كانت قد دعت كل عائلتها و أصدقائهم للاحتفال بمولودة فريد كما كانت تقول ، و الحمد لله أنها قد طبعت اسم المولودة علي أكياس الحمص بنفس الاسم الذي اخترته

دعاء

كما فوجئت بفريد في السبوع يحمل الطفلة و يتنقلها بين أيدي الأقارب ليريهم جمالها ، و يثني عليها ،

حتي أنه صفق كثيرا للجارة و هي تتحزم و ترقص علي أغاني السبوع و تساعد حماتي في دق الهون ، و الغريبة أن دعاء كانت تبكي بشدة و هم لا يهتمون لبكائها كما يهتمون بإجراء صقوس الإحتفال كاملة

و انتهي السبوع و جاءت أموال كثيره ك (نقطه) للمولودة ، جلس فريد و أمه يحصونها كلها و يضعونها في ظرف كبير لم أره مرة أخري و لا أعرف كم فيه

و بعد أن انقضت الليلة و ذهب الجميع إلي منازلهم تحدث إلي فريد للمرة الأولي

و كان بداية حديثه قلم بكف يده علي صدغي و بطريقة مباغتة

- أنا مش قولتلك يا بنت ... إني عاوز ولد ،، بصي أنا بس علشان منظري ادام الناس هسكت ، ادام الناس هه ، لكن دا ميعفيكيش من الغلط اللي حصل ،

و هوي بالقلم الثاني و الذي تبعه بركلات قوية في بطني بكل من يديه و قدميه ، حتي أني نزفت بدماء غزيرة ، فجرحي من جراء الولادة لم يندمل بعد ، فتوقف

- قومـي حطـي حاجـة عـلي الـدم دا خليـه يقـف ، و بعديـن نكمـل كلامنـا

لم أقـم ، فقـط و بـلا شـعور وجـدتي آخـذ طفلتـي في حضنـي و أرتمـى عـلي الأرض آخـذ مـن دمـي و أضعـه عـلي جسـدها ، و كأني أقـول لهـا أنـه مـن الْيَـوْم سـوف تشـاركينني ألمـي و جراحـي و دمـي .

و كالعـادة قمـت لأقـف تحـت المـاء البـارد و لكـن هـذه المـرة كنـت أحملهـا معـي ، لم أخـف عليهـا مـن شـدة بـرودة المـاء ، فأنـا قـد أعددتهـا مـن الْيَـوْم الأول لتتحمـل معـي مـا أعانيـه ، أليـس هـذا مـا أخبرتنـي بـه عندمـا تلاقـت عينانـا لأول مـرة .

22

كانت دعاء تكبر علي صوت صراخ أبيها و ضربه لي و إهانته و بخله في الطعام و الشراب و الملبس ، و الغريبة أنه كان يهتم كثيرا لآراء الناس و ماذا يقولون عليه ، فإذا دعته الشركة إلي حفل إفطار في رمضان مثلا هو و عائلته ، يشتري لنا ملابس غالية الثمن و يهتم جدا بمظهرنا الخارجي أمام زملائه و رؤسائه، و يعاملنا بحب و حنان مبالغ فيهما ، حتي أنه كان يدعونني (ماما) أمام الناس ، و يحمل دعاء و يهونها و يغني لها حتي تنام ، فقط أمام الناس ، و إن أغلق علينا الباب وحدنا يتعامل علي أن هذه الطفلة ليست موجودة علي الإطلاق

فقط أمام الناس الذين يَرَوْن السعاده البالغة التي نعيشها ، و لا يَرَوْن الجروح التي تحت تلك الملابس أو التي داخل القلب

و الأغرب أننا دعينا ذات مرة إلي حضور فرح ابنة رئيسه في العمل و الذي كان في فندق ذى نجوم خمس ، فاشتري لي فستانا غالي الثمن و أمرني بألا أزيل (الماركة المعلقة) عليه لأنه سوف يرجعه في صباح الْيَوْم التالي للمحل بحجة أنه غير مناسب لمن اشتراه لها ، و طول السهرة منعني أن آكل أو أشرب حتي لا يتسخ الفستان أو تظهر عليه أية آثار أن أحدا ارتداه، و عندما كنت أحدثه عن حرمانية ما يفعل كان ينعتني بأبشع الألفاظ و الصفات ، كما كان يذلنا علي أي طعام نأكله أو شيء يشتريه في البيت ، حتي يجعلني أبحث عن عمل أو أتودد إلي أمي حتي تعطيني ميراثي

- ماهو لو تسمعي كلامي و تروحي شايله البت دي في إيديكى و تخبطي علي أمك هتاخدكم في حضنها و خلاص ، و ترجع اليه لمجاريها

- مش هينفع

- كل مـرة مـش هينفـع مـش هينفـع ، انتـي هبلـه حـد يسـيب كل الفلـوس دي و الدهـب دا يطـير في الهـوا ، خـلاص اسـتحملي بقـي أو اقولـك انتـي تنـزلي تشـتغلي لأني بصراحـة مـش نـاوي اتعـب نفـسي و اصرف عليكـم مـن هنـا و رايـح

- عليكم ،، دا اللي هو أنا و دعاء

- ايوه انتي و الزفته بنتك

- حاضر ، هدور علي شغل و اشتغل

و اضطـررت ذات يـوم أن أتصـل بأبيـه لأشـكو لـه قلـة صرفـه علينـا و أن الطفلـة تحتـاج إلي لـبن خارجـي و أن البيـت يحتـاج إلي أكل و شرب ، و أنـه قـد تركنـي عنـداً بـدون مليـم حتـي اضطـررت أن أبحـث عـن عمـل ، و الحقيقـة أننـي كنـت أصرف مـن الخمسـين جنيهـا التـي أعطتنـي إياهـا جـارتي المريبـة و خبئتهـا عليـه

و أتي والـده بعـد مكالمـاتي لـه بسـاعة تقريبـا محمـلا بـكل مـا طلبـت و أكـثر و قـال لي إن احتجـت إلي أي شيء أطلبـه منـه ، و أنـه يعـرف أن فريـد ذا طبـع صعـب و أننـي بنـت أصـول أننـي أتحملـه ،

الحقيقـة لم يكـن الموضـوع أني بنـت أصـول أم لا ، الحقيقـة أنـه أسـقط في يـدي و ليـس عنـدي أي منفـذ أمـل في الوقـت الحـالي ، فأنـا بـلا أهـل أو عائلـة ، بـلا سـند ، أو مـال ، بـل بـلا هويـة ، فـلا أعـرف لمـاذا احتفـظ فريـد بالوثيقـة الجديـدة التـي اسـتخرجتها مـن السـفارة ولَـم ينفـذ وعـده باسـتخراج بطاقـة بالجنسـية المصريـة بعـد زواجنـا

و كانـت ليلـة ليـلاء عندمـا رجـع فوجـد الأشـياء التـي أتي بهـا والـده فانهـال عـلي ضربـا لأني كـما قـال قـد فضحتـه عنـد أبيـه أنـه ليـس بالرجـل الـذي يـصرف عـلي بيتـه و أن زوجتـه (تشـحت) كـما قـال ، و عندمـا صرخـت فيـه أن هـذه الحقيقـة و أنـه ليـس برجـل و أنـه لا يـصرف عـلي و لا عـلي بيتـه أو ابنتـه

فجري إلي المطبخ و أتي بسكين كبير

كنت في حالة من الصراخ الهستيري و هو يهدد بأنه سيذبح الطفلة التي لا يعتبرها ابنته من الأساس أمام عيني أولا ثم يذبحني أنا أيضاً ،

و عندما أتي مسرعا و هو يحمل السكين و مندفعا نحونا قدر له الله أن يتعثر في السجادة من تحت قدمه فيسقط علي ظهره و تهوي السكين في الأرض لتصل إلي قدمي و كأن القدر يتدخل و يلقي بالسكين إلي يدي لأنقذ نفسي و ابنتي لأول مرة ،

أخذت السكين و وجدتني أقوم بكل قوة و كأن هناك يدا خفية تساعدني لأبرك فوق صدره و أرفع السكين لأعلي ، فأري لأول مرة نظرة رعب حقيقية تخرج من عينيه و انتفاضة مرتعشة من جسده حتي أنها أفقدته القدرة علي النطق فقد أغمض عينيه و هو ينتظر غرس السكين في قلبه ،

وقفت في حجرة وكيل النيابة أنظر في ذهول إلى ما حولي غير مصدقة ما آل إليه حالي ، تنتابني أحيانا نوبات صراخ هستيري و أسكت منها في لحظة ، مربتة علي صدر دعاء أخشي عليها من الاستيقاظ ، وفِي لحظة أنظر في ذهول إلي الحجرة الواقفة بها أتفحص أركانها و من يقف حولي لأتذكر أنها حقيقة وليست حلما فأبدأ في الصراخ مرة أخري

دخل المحقق و مساعده و أحد الضباط من الذين ألقوا القبض عليّ

جلس علي مقعده الوثير وأخرج علبة سجائره ووضعها أمامه ونظر إلي الكاتب علي يمينه

- افتح يا ابني المحضر و اكتب الديباجة المعتادة بتاريخ النهاردة

ثم نظر إليّ و لما رآني أحمل طفلتي و أنه يبدو علي أني ليست من معتادي الإجرام أشفق عليٍ و أمرني أن أجلس، بل أمر لي بزجاجة ماء

و كـوب مـن الشـاي

- اسمك و سنك و عنوانك ؟

سألني و هو يشعل سيجارته و ينفث دخانها في الهواء أمامه ،

- لم أرد

اعتـدل في جلسـته و أمـر بكـوب مـن القهـوة كبـير لـه ، سـكت قليـلا مفتعـلا أنـه ينظـر في الأوراق التـي أمامـه ليعطينـي فرصـة للـرد ولكـن لم يجـد أي رد ،فنظـر إلي فجـأة

- طيـب انتـي قتلتـي جـوزك ليـه؟ إيـه الأسـباب الـلي دفعتـك لكـده، انتـى شـكلك سـت متعلمـة و بنـت نـاس، عملـك إيـه علشـان تقتليـه بالطريقـة البشـعة دي

- لا أرد

أطفـأ السـيجارة بعصبيـة وقـرب صـدره مـن مكتبـة ليقـترب مـن وجهـي أكـثر

- السـكوت مـش في مصلحتـك إنتـي كل الأدلـة ضـدك ، الجـيران سـمعوا صوتكـم و انتـوا بتتخانقـوا و لمـا كـسروا بـاب الشـقة بعـد مـا سـمعوا صريخـك الـلي هـز الشـارع كلـه، لقـوكي ماسـكة السـكينة و قاعـدة عـلي الأرض جنـب الجثـة

- انتـى متهمـة بقتـل جـوزك و كل الأدلـة ضـدك لازم تتكلمـي و احنـا نحـاول نسـاعدك ، لـو معكيـش محامـي احنـا نجبلـك

نظـرت إلى الأرض و الدمـوع تمـلأ عينـي ولم أجـب قـال المحقـق في نـبرة أقـل وطأة

- طيـب انتـي فـين أهلـك ؟ في حـد تتصـلي بيـه ؟ يـا بنتـي اتكلمـي مـش هينفـع الـلي انتـي بتعمليـه ده

قـال المحقـق بعـد أن تنهـد تنهيـدة عميقـة تنـم عـن يأسـه مـن أن أتكلـم

- أمرنا نحن هشام عبد السميع سلطان وكيل النيابة بحبس المتهمة .....

نظر المحقق لي مرة أخري

- يا ست اسمك إيه ، أنا مشفق عليكي ومش عاوز اطلع منك كل المعلومات اللي عاوزها بطريقتنا

ثم خبط بحدة علي المكتب بكلتىّ يديه منتفضاً واقفا

- ما تنطقي بقي يا روح امك انتي فاكرة نفسك قاعدة في الأوبرج، انتي رايحة علي المشنقة عدل ، دي جريمة قتل ، وأداة الجريمة عليها بصماتك و الشهود كسروا عليكي الباب و انتي باركه عليه و السكينة في إيديك و مغروزة في قلبه

و علي الرغم أني انتفضت لانتفاضته و صوته الأجش الغليظ جعل دعاء تستيقظ إلا أني لم أستطع أن أنطق

نظر المحقق إلي كاتب المحضر و قال

- سيب يا ابني مكان الإسم فاضي لحد ما نشوف

أمرنا نحن هشام عبد السميع سلطان بحبس المتهمة ..... بالحبس خمسة عشر يوما علي ذمه القضية رقم (اكتب بقي انت باقي البيان)

علي أن وجدنا معها طفلة رضيعة و عليه فقد أبلغنا مصلحة الشؤون الإجتماعية بإرسال مندوب لأخذ الطفلة و وضعها في إحدي دور الرعاية حتي انتهاء القضية

وهنا وجدتني أصرخ فجأة لأقول

- اللي هيفكر ياخد بنتي مني هقتله

رأيت المشهد كاملا ، و مازالت السكين بيدي نصلها علي قلب فريد و نظرة الرعب تملأ عينيه

و أتخيـل للحظـة شـكلي و أنـا مكبلـة بالحديـد و القـاضي يحكـم عـلي بالإعـدام و الطفلـة تؤخـذ إلي مصـير مجهـول

فألقـي السـكين عـلي الأرض و أخطـف ابنتـي و أجـري إلي حجـرتي أغلـق البـاب ورائي و لا أبـالي بالأصـوات التـي تطـرق البـاب بشـدة ، أحتضـن ابنتـي و أتلحـف بالغطـاء و كأني أهـرب مـن مصـير أصبـح مصـيرًا حتميـاً لي و لابنتـي التـي كانـت تـصرخ هـي أيضـا عـلي صراخـي

نعم فكرت في قتله كما فكرت بالانتحار أكثر من مرة

و فِي كل مـرة يردعنـي إيمـاني باللـه أولا و خـوفي عـلي مصـير طفلتـي ثانيـا ، ففـي الحالـة الأولي سـوف أعـدم أو أسـجن في أرأف الحـالات مـدي العمـر ، و فِي الثانيـة سـأتركها وحيـدة مـع أب مجنـون لا أعلـم مصيرهـا ،

هكـذا مـرت عـلي الأيـام و الليـالي في السـنين الأوائـل لحيـاتي معـه ، حتـي حـدث شيء جديـد جعـل الأمـر يأخـذ منعطفـا آخـر

23

- المرة دي ولد بقي ، و انا بقولك اهو ، صدقيني المرة دي لو مش ولد تخفي من أدامي نهائياً و مش عاوز اعرف حتي هتروحي فين

تسعة أشهر و أنا أدعو و أدعو فقط أن يجعل الله ما في بطني ولدا ، تفاديا لما قد يحدث ، و إن كان قد تحسن في معاملته معي بعد حملي الثاني ، بعض المنغصات العادية و الاستهزاء عَلي شكلي و جسدي ، أو الانفعال علي نظافة المنزل أو أيا من تلك الأمور التي اعتدت عليها و آثرت الصمت و تجاهلها مع تنفيذ كل رغباته حتي أعيش لابنتي

و الغريب أنه في يوم أن أخذت السكين و كدت أن أقتله ، و رأيت في عينه الرعب عرفت أنه جبان و مهمش و ما يفعله بي ما هو إلا تنفيس عن كبته و خنوعه و اعترافه من داخله بأنه شخص جبان عديم النخوة و الرجولة

نعم بدأت أكرهه بل أدعو الله كل ليلة أن يخلصني منه ، و كنت بإيماني به أنتظر معجزاته

و جاء الولد و تنفست الصعداء ،

محمد

أسماه هو كما كان يتمني ، و ليس لاسمه أي من الأسباب الدينية أو الروحية ، فهو في الأساس كان مسلما بالاسم فقط ، و لا يتبع تعاليم سيد الخلق أو يحتذي بحذوه في أي شيء ،

كان دائماً يقول

- كفاية اني خليتك تسلمي ، دا هيدخلني الجنة حدف

و أنا أقول في سري لا و الله الذي لا إله غيره ليس أنت من جعلني

أسـلم ، و إن كان إسـلامي سـببا في دخولـك الجنـة فأنـا سـوف أخاصمـك يـوم القيامـة عـلي كل مـا فعلـت بي و أدعـو اللـه ألا يجعـل لـك مـن الجنـة مكانـاً

و كأنـه مريـض بمـرض فصـام ، و كأنـه اكتشـف أن لـه زوجـة و ابنـة مـع ابنـه الجديـد القـادم للحيـاة ،

اختـلاف جـذري في المعاملـة ، حتـي أنـه بعـد أن انقـضي الأربعـين فوجئـت بـه يأخـذني لاسـتخراج بطاقـة الجنسـية المصريـة و يعـدني أنـه سـوف يأخـذني إلي الحـج العـام القـادم و أنـه سـوف يكـون محمـد كـبر قليـلا لتركـه مـع والدتـه ، لم يكـن يذكـر دعـاء في أي شيء و كأنهـا ليسـت موجـودة في الحيـاة

ثلاثـة أعـوام تنفسـت فيهـا الصعـداء ، احتضنـت أولادي و قـرآني فهـم السـبب الأوحـد لبقـائي عـلي قيـد الحيـاة

حتـي أتي يـوم و كنـت أودعـت أولادي إحـدي الحضانـات و عملـت سـكرتيرة تنفيذيـة في إحـدي الـشركات الصغـيرة بجانـب المنـزل ، و كنـت قـد حملـت حقيبـة بهـا بعـض الملابـس القديمـة أنـوي أن أعطيهـا للسـيدة التـي تنظـف المكتـب مسـاعدة منـي لهـا

ورأتنـي الجـارة المريبـة ، ألقـت عـلي تحيـة الصبـاح و ذهبـت إلي حـال سـبيلي

لأفاجـأ بفريـد يقـف عنـد بـاب الحضانـة في ميعـاد خـروج الأولاد و الـذي أضبطـه دائمـاً مـع ميعـاد خروجـي مـن عمـلي ،

- إيـه الـلي جابـك يـا فريـد دلوقـت خـير في حاجـة الـولاد حصـل لهـم حاجـة ,؟

- انتـي كنتـي ناويـة تهـربي ، مخـلاص بقـي معـاكي قـرش و تقـدري تبعـدي عنـي و تخطفـي ابنـي منـي

- أهرب ازاي يعني ؟

- مش كنتي نازله الصبح بشنطة هدومك
- و انت عرفت من فين اني نازله بشنطة هدومي
- ملكيش دعوه دلوقت عرفت من فين
- لا من غير ما تقول أنا عارفه عرفت ازاي ؟

كانت شكوكي من الْيَوْم الأول حقيقية ، هو علي علاقة غير شريفة بالجارة المريبة ، و بدأت أفكر ماذا أفعل ، فما جعلني أتحمل ذُلا و ضربا و إهانة ، إن ضفنا عليهم خيانة فلن يغير في الأمر شيئا ، هذا هو قدري و مكتوبي و علي أن أتحمل ، و لكن إحساس الخيانة مرير أيضا ، و خصوصا أن تلك الحرباء قد اقتحمت بيتي عَنْوة بل نامت معه علي سريري و في بيتي ، عندما كان يصر أن أذهب كل ثلاثاء مساء إلي النادي القريب ليعتاد محمد علي الهواء النقي و تجهيزه لممارسة الرياضة في المستقبل ، و علي الرغم من أني كنت أعترض مرات لبرودة الجو أو أية ظروف أخري ، كان يصر إصرارا غريبا ، بدأت أتذكر تلك المرات و أجمع خيوطا مع خيوط حتي رأيت شريط خيانته كاملا من الْيَوْم الأول الذى زارتنا فيه هذه الحرباء

سقط في يدي فأنا أريد أن أرد لها الصاع صاعين ، فهي قد استهانت بي و علمت أنني أهان و أضرب و من المؤكد أنها قد سمعت صوتي أصرخ مرات و مرات و لَم تحاول نجدتي مرة بل بالعكس أري أنها قد شمتت بي و فرحت لضربي، كما أنها تستقوي حتي تأتي إلي بيتي و تعاشر المدعو زوجي علي سريري فتلك مصيبة أخري ، و عندما هممت أن أستسلم كالعادة و أعيش في دور الضحية المغلوب علي أمرها ، و جدتني بغير تفكير آخذ رقم زوجها ذات مرة من دفتر التليفونات في مكان عمله ببورسعيد و أتصل بِه من كشك في الشارع و أحدثه علي أني فاعلة خير وأخبره بخيانة زوجته مع جارها في الشقة العلوية

و كنت أعرف ما سوف يحدث لي جراء هذه المكالمة و لكني لم أبال ، علقة جديدة بكسر ضلع أو ازرراق وجه أو تورم عين و علامات لا تختفي علي الظهر ، و لكن لأول مرة أشعر أني أرد له أي صاع

و لكن بعدها مباشرة أتي من العمل لأجده يخبرني في هدوء و ابتسامة لزجة أن هذا السكن لم يعد مناسبا لنا كالعائلة و يجب أن نبحث عن مكان أوسع و أفضل ، و أنه تكلم مع والديه أن نقطن عندهم مدة حتي نجد مكانا بديلا

و كالعادة بعد هذه الابتسامة سألني

- انتي مش ناويه تاخدي محمد توريه لسته ؟

- سته مين؟

- أمك

- تاني ،

- لا ماهو المرة دي ولد بقي و كده

- ولد زي بنت عندنا

- عندكم فين ؟

- قصدي في العيله يعني ، عمرنا ما فرقنا بين ولد و بنت و

- طيب يا حبيبتي علشان خاطري حاولي تاني ، ماهو برضه دا ميراثك و فلوس ابوكي ، ليه يحرموكي منها ، و كمان أنا عاوز اسيب الشقة دي و اخدكم في شقة تانية أوسع و أحلي ، و انا معييش انتي عارفه ، ها إيه العمل بقي ، نمشي من هنا و لا خلينا قاعدين بقي و اللي يحصل يحصل

تهديد واضح و صريح و مقزز

و كان يعرف ردي بالطبع فهو ذكي بما فيه الكفاية

- أنا معايا فلوس

- ايوه يا حبيبتي اشجيني اشجيني ، معاكي كام يا روح قلبي

- خمستلاف جنيه ، كنت بعمل جمعيات مع زمايلي في الشغل ، و قبضت لسه الشهر دا و كنت ناويه اعمل بيهم شهادات ادخار باسم دعاء و محمد

- الله الله عليكي ، برافو عليكي ، ما انتي بتفهمي أهو ساعات و مخك بيشتغل ، خلاص هاتيهم بقي علشان من بكره ندور علي شقة جديدة

- حاضر

اعتدت علي قولها و تفويض أمري لله ، ضعيفة أنا جدا ، أنا أعلم ، و لكن أين أذهب و كيف و لمن ، كل الطرق أمامي مغلقة ، و ليس لي سوي أولادي أحتمل كل سوء و أحافظ عليهم ، و ليس لدي سوي قول يا رب ، فرجه قريب

24

و انتقلنا إلي البيت الجديد و الذي كان في المعادي القديمة في مكان راق و بجوار نادي المعادي الشهير و الذي كان فريد عضوا فيه من والديه ، و من ثم نقل لنا العضوية بعد أن رزقني الله بالولد ، فهنا أستحق أن أدخل إلي مثل هذه المناطق الراقية كما كان يقول ، أما قبله فلا أستحق أنا و ابنتي أية مميزات كانت

أنا ؟ بنت العائلة التي اعتادت علي السكن في القصور ، أنا ؟ من كنت أرتدي أفخم الملابس من أفخم الماركات ، أنا ؟ من كان في بيتنا من كل الأطعمة و الأشربة التي ربما لم يرها هو و عائلته في يوم ، أنا؟ من كنت أقضي الصيف ما بين بلدان أوروبا المختلفة و أقطن في أفخم الفنادق ،

أنا من كنت أنا في يوم ما و أصبحت معه بلا أنا

لا أعرف هل اعتدت هذه الحياة أم تغلبت علي أوجاعي

ولكن الحقيقة و التي لم أستطع أن أتغلب عليها هي أحلامي المستمرة بما كل ما هو مسيحي ، عائلتي ، كنيستي ، و المسيح و أمه حبا صادقا كان يحمله قلبي لهم ، و هذا لا يتنافي مع إسلامي و حبي لرسول الله و يقيني به نبيا خاتما

و لكن أنا تربيت علي حب عيسي المسيح و أمه و صورهم حتي و إن لم تكن هي الحقيقة و لكن طبع في مخيلتي أنهم هم بهذه الصورة لا أنسي ما حييت تماثيلهم من صنع أبي و وضعهم في إطار من نور جميل

انتقلنا إلي البيت الجديد بأموالي ، وكتبه هو باسمه ،و نقلت الأولاد إلي مدرسة خاصة ، بأموال من عملي ، و الذي كان بمثابة إنقاذ مؤقت

مـن وجـودي في البيـت و مواجهـة فريـد

و كنـت طالمـا أصرف عـلي أولادي و عـلي البيـت و عـلي نفـسي فهـو في حـل منـي ، و لا يتدخـل

إنمـا إن قـصرت في النظافـة أو إعـداد الطعـام أو اشـتريت أي شيء بـدون علمـه فأعلـم رد الفعـل مقدمـا ،

و أكـثر مـا كان يقتلنـي ، هـو رؤيـة نظـرات أولادي و هـم يشـاهدونني أضرب

ذات يـوم و كانـت دعـاء قـد بلغـت السادسـة ، و أتي إلي البيـت و لَـم أكـن قـد جهـزت الطعـام بعـد ، فبـدأ في نوبـة غضـب و عصبيـة ، و عندمـا دخـل إلي الحـمام و وجـد أن (البشـكير) الخـاص بـه سـقط عـلي الأرض هاج و مـاج و أخـذ يـصرخ و يخبـط في الأشـياء و كالعـادة خلـع حزامـه و هـوي بـه عـلي ظهـري و بطنـي و وجهـي فـما كان مـن دعـاء أن جريـت عـلي و وقفـت حاجـزا بينـي و بينـه تحـاول منعـه مـن ضربي و هـي تـصرخ و تبـكي ، فقـام بـكل عصبيـة بحملهـا و إلقائهـا في اتجـاه الحائـط الـذي اصدمـت بـه و سـقطت فاقـدة الوعـي

إلا ابنتي

اضربنـي ، اقتلنـي ، أخـرج عـلي كل عقـدك و مشـاكلك النفسـية ، فلـن أحـرك سـاكناً

و لكـن عندمـا يـأتي الـدور عـلي ابنتـي فـلا و ألـف لا و سـتري الجحيـم بعينـك ، فأنـا بالفعـل كنـت أسـتطيع قتلـه بـكل سـهولة و يـسر و لـن يشـك في أحـد قـط ، و لكـن كنـت أرجـع في اللحظـة الأخـيرة حتـي يعيـش أولادي بـين أبويـن و بيـت و إن كان هشـاً و لكنـه في النهايـة بيـت بأربعـة جـدران مغلـق علينـا ،

و لكـن أن يتطـور الأمـر و يصـل بيديـه إلي ابنتـي فأنـا أسـتطيع أن آكل لحمـه حيـاً

و بعـد أن اطمأننـت عليهـا بعـد أن أخذتهـا في حضنـي أحـاول إفاقتهـا بالمـاء البـارد عـلي وجههـا و كفهـا حتـي فاقـت فنظـرت إلي عينـي و هـي تُمسـح دمـي السـائل عَلِيـه ، نظـرة بهـا كل الخـوف و الرعـب عـلي و كل الحـب و الشـفقة لي

و أخذتهـا و أخاهـا إلي بيـت والديـه القريـب مـن بيتنـا الجديـد و اسـتأذنتهما في نصـف سـاعة فقـط لقضـاء أمـر هـام ،

و رجعت إليه ، ليفاجأ بي أصفق الباب بشدة خلفي

- إيـه دا إيـه الـلي رجعـك ؟ و مالـك بترزعـي البـاب كـده ليـه انتـي ات...

- انا عاوزه اطلق بالذوق و من غير مشاكل ،

- انتي اتجننتي يا بنت ال ...

- لا انـت لسـه مشـفتش جنـان خالـص ، بـص يـا ابـن الحـلال ، ذُل و اسـتحملت ، ضرب و دعيـت ربنـا يهديـك أو ياخـدك ، خيانـة و قلـت نجـس و ديـل الكلـب عمـره مـا يتعـدل ، قـرف و بخـل و زفـت عـلي دماغـك و قلـت معلـش أهـو قـدر ، و بدعـي ربنـا كل يـوم يغـيره أو يجزينـي بيـه خـير في الآخـرة ، لكـن بنتـي لا و اللـه العظيـم مـا اسـمحلك أبـدا ، بنتـي خـط احمـر ودي الـلي انـا طلعـت بيهـا مـن الدنيـا ومـش عـاوزه غيرهـا ، طلقنـي يـا سـيدي ، انـت باقـي علينـا ليـه وانـت كارهنـا كـده احنـا الاتنـين ؟

بصـوت حـاد وبـكل عصبيـة و حـزم و قـوة قـدرني عليهـا اللـه وحـده اسـتطعت أن أنهـي كلامـي معـه ،

و كالعـادة نفـس نظـرة الرعـب و نفـس الرعشـة المخيفـة ، و لكنـه قـد أزاحنـي بيديـه برفـق و هـو يـترأف بحـالي أن قـد أصابنـي الجنـون و يجـب أن أحجـز في مصحـة عقليـة ، و اختفـي مـن أمامـي ،و أنـا أدعـو ربنـا أن يثبتنـي مـن الانهيـار أمامـه ، و مـا أن خـرج جلـس عـلي الكـرسي أمامـي يحمـل ورقـة و قلـما و قـال

- عـاوزه تطلقـي يـا هانـم عينـي الاتنـين ، بـس تعـالي امـضي عـلي الورقــة دي

- ورقة ايه دي

- دا تنـازل منـك عـن الأولاد الاتنـين و عـن حضانتـك ليهـم و تنـازل عـن أحقيتك في الشـقة

- انت بتقول ايه ، أتنازل لك عن ولادي ازاي

- هو كده ، وإذا كان عاجبك

- انـا مـش ممكـن أتنـازل عـن ولادي أبـداً لـو اتتربقـت السـما عـلي الأرض

- خلاص تبقي تحطي جزمه في بوقك بقي ومسمعش صوتك تاني

تعقـدت دعـاء نعـم ، أثرعـلي نفسـيتها حتـي أنهـا كانـت تتعـثر في الـكلام حتـي سـن السادسـة نعـم ، فـرق في المعاملـة بينهـا و بـين أخيهـا بشـكل واضـح للجميـع و حاولـت أنـا أن أوازن الأمـور، فـإن اشـتري لـه لعبـة أحـضرت إليهـا لعبـة ، إن أجلسـه عـلي حجـره يهننـه و يدلعـه أجلسـتها عـلي رجـلي وقتـا أطـول أحتضنهـا و أغنـي لهـا ، و فِي وقتنـا أنـا و هـما معـا (دعـاء و محمـد) كنـت حريصـة كل الحـرص عـلي تعلميهـما كيـف يحبـان بعضهـما بعضـاً ، و كيـف تكـون علاقتهـما لدينهـما و بدينهـما ، فهـو خلاصهـما و منقذهـما في هـذه الحيـاة

أخلصـت في الدعـاء للـه أن يعيننـي أن اقـدم للبشريـة شـخصين سـويين محبـين مخلصـين يكونـان ذات يـوم سـببا في دخـولي الجنـة

أخلصـت في تربيتهـما عـلي الديـن الوسـطي الجميـل لا تطـرف و لا تعمـق و لا اسـتهتار، ديننـا ديـن وسـطي جميـل ، فاللـه جميـل و نحـن نحبـه فنتبـع تعاليمـه و ننتظـر جوائـزه إن لم تكـن في الدنيـا ففـي الآخـرة بـإذن اللـه ، جنـة تجمعنـا بأحبتنـا ، حكيـت لهـما قصـص الأنبيـاء و سـيرة الصحابـة و علمتهـما نهـج محمـد عليـه الصـلاة والسـلام

لم اضطـر أن أعلمهـما كـره أبيهـما فبالنسـبة لدعـاء كانـت لا تحتـاج منـي أي مجهـود ، و لكـن محمـد كان يحبـه بسـبب معاملتـه لـه و إن كان أضعـف مـن أن يكلمـه في معاملتـه لنـا أنـا و أختـه ، فنضـج شـخصا ضعيـف الشـخصية

بعـد هـذه الحادثـة كانـت دعـاء بمجـرد أن تسـمع إدارة المفتـاح المنـذر بدخـول والدهـا البيـت حتـي تجـري لتختبـئ في أقـرب حجـرة و إن كانـت دورة الميـاه ، و تجلـس القرفصـاء و تضـع رأسـها وسـط رجليهـا و تصـم أذنيهـا و تهتـز بعنـف كلـما بـدأت أحـد نوبـات أبيهـا الغاضبـة و التـي تنتهـي بـضربي و إن كان الآن الـضرب سريعـا و خاطفـا ومفاجئـا... و مؤلمـاً

و فِي عامهـا الثـاني عـشر و العـاشر لمحمـد جـاء فريـد ليخبرنـا أنـه قـد عـين في إحـدي شركات البـترول بدولـة الإمـارات العربيـة و أننـا سـوف ننتقل جميعـا للعيـش معـا في دبي

وهذا فصل جديد بدأ في حياتي و حياة أولادي.

25

لم يكن انتقالنا لبيت جديد في بلد جديد يغير من الأمر شيئا سوي بعدي عن أهله و المشاكل العنيفة التي بدأت في حياتي و حياة أولادي بعد أن استقرت أخته بأولادها الأربعة و زوجها الخانع في مصر و للأسف سكنت في العمارة المجاورة للبيت الجديد الذي أخذناه بعد فضيحة الجارة المريبة ، و لأن البيت بجوار النادي فكان اللقاء بيننا شبه يومي ، و ظهرت الأخت منال علي حقيقتها و التي لا تختلف عن أمها و أخيها في شيء ، و إن كان ما بدر منها من قبل ما كان إلا تمثيلا في تمثيل ، و إن كان الأمر ما بيني و بين فريد كافي و لا يحتاج إلي مزيد من المشاحنات و الإهانات ، أظهرت الأخت غيرة غريبة ما بين أولادها و أولادي و بدا أنها تضع دعاء بالأخص في رأسها و كلما أتتها الفرصة تنكل بها و تزيد الكراهية بين ابنتها والتي كانت في قرب سن دعاء و بين دعاء و تحمي النار أكثر و أكثر بيني و بين فريد و كأن الحياة كانت تنقصها ، فبعد أن هد المرض والدته و بعدت عني قليلا ظهرت هذه الأخت و التي لا أعرف لماذا هناك أناس يتمنون الأذي للآخرين هكذا

فكانت آخر سنتين في حياتي بمصر و قبل سفرنا لدبي من أسود السنين علي و علي أولادي

كنت أبكي ليلا و أنا ساجدة حتي تبلل دموعي سجادة صلاتي ، أسأله لماذا

لماذا يا رب كل هذا الظلم ، كل هذه الإهانات و الأوجاع ، و أسأله أن يجعل نصيب أولادي في الحياة أفضل من حياتي ،

و إن كان هناك اختيار فرضا عقيما لمن أسأل ، فأترجاه أن يجعل

بي ضعف الوجع أضعافاً ، فقط يجعل حياة أولادي أحسن مما أظن و أرجو

أسأله و أنا علي يقين بالإجابة فإيماني به ليس له حدود ، و إن كنت أعتبر مسلمة متأخرة إلي حد ما بالنسبة لسنين عمري ، فيشفع لي أني قد أتيته مسرعة و علي عجل كما جاءه موسي عليه السلام ، و إن كنت صبرت علي البلاء ثلاث عشرة سنة فأنا أحسن حالا من داود عليه السلام ، و إن كنت قد احتملت الظلم البين فقد احتمله قبلي يوسف عليه السلام ، و إن كان الدم قد شلب مني فقد شلب من عيسي عليه السلام ، و إن كنت أومن به كما آمن به محمد عليه الصلاة و السلام ، و كما آمن به البشر ، أسأله أن يجعل لي من صبري نصيبا ، و يكافئني عليه إن لم يكن لي فلأولادي في الدنيا و أنا صابرة محتسبة أنتظر فرجه و كرمه ، محتسبة لأجري علي الصبر و لست مسامحة من ظلمني و سوف أختصمهم جميعا يوم العدل المشهود

في يوم تخرج دعاء من الجامعة الأمريكية بدبي في شهادة الهندسة المعمارية و التي أصر فريد علي دراستها إياها علي الرغم من أنها لم تكن من رغباتها كانت ليلة فارقة في حياتي

فطوال الإثنتي عشرة سنة التي عشتها بدبي و التي أشهد أنها كانت أفضل حالا من مثيلاتها في مصر و بعد أن بدأنا في الانخراط في المجتمع هناك ، و كان فريد يعمل في إحدي الشركات الكبرى للبترول و كان مرتبه كبيرا كوظيفته و التي أرغمته علي السكن في مكان من الأماكن الغالية و أن يركب سيارة بمواصفات عالية و أن يدخل أولاده مدارس و جامعات علي أرقي مستوي لأن في النهاية الشركة هي التي تدفع حق السكن و الدراسة و كذلك شراء السيارة ، فكان لا يستطيع أن يتهرب أو يخفي هذا ، أي أنه اضطر اضطرارا أن يجعلنا نعيش في مستوي بعيد كل البعد عن شحه و بخله و إلا كان سيفضح بين زملائه

في هـذه الشركـة الكـبرى

و إن كان يقطـر علينـا في المـأكل و المـشرب و الملابـس ، و لكنـي كنـت قـد تعلمـت درسـا مـن دروس الحيـاة فبـدأت أقتصـد قليـلا مـن تلـك المصاريـف و قـد فتحـت بـدون علمـه حسـابا في أحـد البنـوك هنـاك ليـس إلا تحسـبًا لأي مـن مصائبـه التـي كنـت أبـات و أحلـم بهـا

ففـي كل مـرة كان يحـدث بيننـا شـجار ينتهـي بـضربي كالعـادة يهـددني تهديـدا صريحـا بأنـه سـيرميني أنـا و دعـاء في الشـارع و يمنعنـي مـن أن أري محمـد باقـي العمر

كنـت أخـشي مـا أخشـاه أن ينفـذ تهديـده أي مـن المـرات ، فأنـا قـد احتملـت كل هـذا العمـر حتـي أجعـل الأخ و الأخـت معـا و تحـت سـقف واحـد و لا يفرقهـما أيـا مـن كان

و الحمـد للـه فقـد جعلهـما اللـه يُحبـان بعضهـما بعضـاً حبـا يكتـب في كتـب ، حتـي أنهـما كانـا يمرضـان لمـرض بعـض ، يشـعران ببعـض عـن بعـد ، فـإن أصـاب أحدهـما مشـكلة مـا يشـعر الآخـر أن بقلبـه اضطربـاً مـا و يعلـم أن طرفـه الثـاني غـير متـزن بشـكل مـا الآن بسـبب حـدث مـا ، و كانـت الأمثلـة كثـيرة عـلي مـدار عمريهـما

- ماما محمد فين دلوقت

أيقظتنـي دعـاء ذات ليلـة فجـأة و كنـا منـذ قدومنـا إلي دبي و فِي هـذه الفيـلا الكبـيرة كُلٌ لـه حجرتـه الخاصـة فأنـا و فريـد لم نكـن نبيـت عـلي سريـر واحـد و لا في نفـس ذات الحجـرة و قـل كثـيرا لقاؤنـا كأزواج .

- خير يا دعاء في إيه
- محمد موبايله مقفول
- طيب معلش يمكن فصل شحن
- لا محمد في حاجه حصلت له
- لا استعيذي بالله بس من الشيطان ، بإذن الله خير

- بقولك محمد حصل له حاجه كبيرة كمان ، أنا حاسه بيه

و بـدأت في البـكاء. و بـدأ نفسـها في الانقطـاع و وضعـت يديهـا عـلي قلبهـا و بـدأت تحـاول أن تتنفـس و لا تسـتطيع حتـي فتـح علينـا فريـد البـاب فجـأة و وجهـه مصفـر و يرتعـش و هـو يحـاول أن يكمـل قفـل أزرار قميصـه بانفعـال واضـح

- محمـد عمـل حادثـة جامـدة بالموتوسـيكل و واحـد كلمنـي مـن المستشـفى يبلغنـي

كان محمـد يعشـق ركـوب الموتوسـيكلات و كان أبـوه يشـتري لـه كل سـنة أفضـل موديـل ،كان بخلـه و شـحه علينـا بمـا فيـه نفسـه ،و لكـن عنـد حـد محمـد لا يوجـد أي بخـل أو شُـح

أدخله الهندسة كأخته و إن كان ذلك علي رغبته

و يـوم تخـرج دعـاء مـن الجامعـة و كان هـو في أسـوء حالاتـه بسـبب تافـه حتـي أني لا أذكـره ، و كان منـذ قدومنـا إلي دبي مقـلا في معاقبتـي بالـضرب المـبرح ليـس تفضـلاً منـه و لكـن خشـية مـن أن يسـمع صوتنـا أحـد و يبلـغ عنـه الشرطـة فَيُرحـل مـن البلـد ليـس إلا، و لكـن هـذا اليـوم هـاج و مـاج و لأنـه كان مـازال بلبـس البيـت و ليـس هنـاك حـزام يخلعـه كالعـادة فـما كان منـه إلا أن أتي بخرطـوم جلـدي طويـل يسـتخدم في ري الحديقـة و عندمـا رفعـه ليهـوي بـه عـلي وجهـي وقفـت كأسـد كان يعتقـد أنـه عجـوز جريـح ، آثـر السـكوت زمنـا و ابتلـع كبريائـه كملـك للغابـة و عـاش متقوقعـا عـلي نفسـه يخفـي دموعـه و لا يسـتطيع أن يـداوي جراحـه ، و لكنـه فجـأة انتفـض و زأر زئـيرا يخلـع القلـوب مـن بـين ضلوعهـا

- مش هتضربها تاني طول مانا عايشة

- نعم يا بنت ...

و هـي تنـزع الخرطـوم مـن يديـه و تلقيـه عـلي مرمـي ذراعهـا ليطيـح بمـا يقابلـه في طريقـه فيحـدث دويـا و أصـوات تكسـير بعـض الزهريـات ،

قالت له دعاء بكل حدة و عيناها مثبتة في عينيه تتطاير منها الشرارة تستعد لحرق أي شيء أمامها

- بقولك من النهاردة مش هتمد إيديك عليها تاني ،. أنا اللي هقف لك ، و هبلغ عنك البوليس ، و هروح الشركة بتاعتك و افضحك أدامهم

وعلي الرغم من أنه قد صفعها بكفه علي خدها صفعة أخلت توازنها و جعلت الدم يسيل من شفتيها إلا أنها وقفت في ثانية

- اضربني أنا و لكن هي لا ، كفاية بقي حرام عليك ، انت موتتنا في الوقت اللي كان مفروض نعيش فيه

- موتتكم و انا صارف عليكم دم قلبي ، انتي مش شايفه إنتي متخرجة من إيه

- يعني فاكر أهو ان النهاردة حفلة تخرجي من الجامعة

- ايوه الجامعة اللي دافعلك فلوسها و اللبس اللي ملبسهولك و العيشة اللي أمك مكنتش تحلم بيها

- قلت لك متتكلمش علي أمي و من النهاردة ملكش دعوه بيها ، و كل مليم صرفته عليا هردهولك ، و متشكرين أوي لغاية هنا، أنا من بكره هشتغل و أصرف عليها و عليا و مش عاوزين منك حاجه خالص

- في ستين ألف داهية تاخدكم انتوا الاتنين

- لا احنا التلاته

- تلاته ازاي،

- محمد هييجي معانا

- دا بعيد عن شنب أمك لا مؤاخذة ، عاوزين تمشوا البلد اللي تودي ، ابني مش هيطلع من بيتي أبدا

- خلاص نسأله

كانت تحدثه و هي تكتم دموعها لتبدو قوية و لأني أعلمها كما أعلم نفسي تماما و شعرت بنفسها يتأخر في الخروج و صدرها يعلو و

يهبـط باضطـراب كقطـار يجاهـد ليقـف و فراملـه قـد تعطلـت،

فاضطـررت إلي التدخـل لأني أعـرف موقـف محمـد و حبـه لأبيـه و خشـيت بعـد كل هـذا العمـر أن يفـرق بينهـما بغبـاء و أن تصمـم دعـاء عـلي تهديدهـا لـه

- خـلاص خـلاص يـا دعـاء ، مفيـش داعـي للـكلام دا دلوقـت ، هننتأخـر عـلي الحفلـة

- حفلة ايه ، هو في أي حاجه في حياتنا دي تفرح و لا تبسط حتي ،

ثـم انتابتهـا حالـة صراخ و بـكاء و بـدأ صوتهـا يتحـشرج و صدرهـا ينتفـض و هـي تقـول

- خمسـة و عشريـن سـنة عايشـة في مذلـة و ضرب و إهانـة ليـه ؟ ليـه تعمـلي في نفسـك كـده. علشـان مـين ، متقوليـش علشـانا احنـا أكيـد كنّـا هنكـون في حـال أحسـن مـن دا ميـت مـرة و احنـا عايشـين في عشـة صفيـح و مفيهـاش البنـي آدم دا ، و لا إننـا نشـوفك بتتهـاني و تتـضربي أدامنـا ، بيـت إيـه ال الـلي كنتـى عـاوزه تحافظـي عليـه دا بيـت العنكبـوت أقـوي منـه ، انتـي ازاي تعمـلي في نفسـك و فينـا كـده ، و ليـه تـرضي عـلي نفسـك الإهانـة ، ليـه سـكتي يـا ماما ليـه سـكتي ليـه ؟

ثـم فجـأة سـقطت عـلي الأرض بنفـس مقطـوع و وجـه بـدأ يتحـول لونـه إلي الزرقـة

اكتئـاب حـاد مـع ضغـط عصبـي مسـتمر حـدث بسـببه ارتفـاع ثابـت في نسـبة

الكورتيزول أدي إلي تصلب الشرايين و قصور في الدورة الدموية ،

-ماتت

دعاء ماتت ؟

***

ستة أشهر قضتها دعاء في المستشفى أو بالأخص في مصحة نفسية بعد أن أخبرني الطبيب المسعف أنها كانت فارقت الحياة بالفعل و أن رجوع الروح لها كان بمثابة معجزة عجز أشد الأطباء مهارة عن معرفة السبب ، إلا أني أنا أعرف ، أعرف أنها يد الله الذي ترافقني دائماً ، عينه التي ترعاني ، ستره الذي يغطيني ، و رحمته التي تشملنا ،

فهو و إن كان قد كتب عليها الموت في حياة قصيرة فقد رفع قدرها دعائي المستمر كل ليلة ، و دموعي و أنا أترجاه ، و قبولي بقدره ، و ضعفي علي مواجه الشر ، و صبري علي ابتلائه ، و لكن حبي و إيماني به ، و يقيني علي أنه امتحان ، حتي و إن طال ، و طال و طال ، هناك ميعاد محدد لنهايته ، سوف يوضع القلم ، و يجف الحبر ، سوف يمر المراقب يلملم الأوراق ، و سينجح من اجتهد وَ عَبَد ، و سيسقط مع فريد كل الباقين .

رفعة نظرة عيني ليها يوم ولادتها و وعدها لي بأننا سوف نعبر سويا كل الصعاب، سنتجاوز الظلام يدا بيد حتي نخيط بهم خيوط الشمس ، سوف نتنفس فقط لتحيِى أحدنا الأخري

فرد الروح إليها ليس بالمعجزة و لكن كان وعدها لي... و وعدي لله

مت معها حرفيا ستة أشهر كاملة ، نقلت حياتي لأعيش معها في نفس الحجرة بعد أن تعنت الأطباء عن وجودي و لكني تجرعت شربة الشجاعة التي تنتابني فقط عندما يتعلق الأمر عن بعدي عن أولادي ، شعرت بنفس شعوري و أنا أبرك فوق فريد ذلك الْيَوْم و أنا أضع السكين علي قلبه ،

و وقفت له بحدة ،

- انت إمتي ممكن تتعظ ؟ و الله الذي لا إله إلا هو لو كانت دعاء حصل لها حاجة لكنت قتلتك و حتى مكنتش هدفنك معاها ،

كنت انا الي هرميك لكلاب السكك ياكلوا جيفتك ،
و علي الرغم أنه كان ينظر إلي الأرض و لا يرد علي إلا أنني أكملت
- من النهاردة ملكش دعوه بدعاء نهائي ، و زي ما سمعت الدكتور بنفسك ، البنت محتاجة معاملة خاصة و البعد تماما عن أي شد عصبي ، و قال إيه تعيش في بيئة هادية ، يا حرام مش عارفة ازاي ،
بنبرة استهزاء قلت له جملتي الأخيرة و أنا في حالة نادرا ما تمر علي و أستطيع أن أتحدث إليه هكذا
كانت هذه الفترة لا تقل في صعوبتها عن عمري كله ، فأننا قد اعتدت الصعب و تأقلمت معه ، فلا حياة بدون دعاء ، فهي و أخيها بمثابة الشهيق والزفير لجسدي .
كانت دعاء جميلة ، منذ يوم ولادتها يتباري الناس في وصف حسنها و جمالها ، حتي أن عمتها ذات يوم قالت
- بقي السودانية السوده تخلف البياض دا كله ازاي
و مرة أخري قالت لابنتها
- شوفتي شعر دعاء طويل و ناعم ازاي مش زيك كرته ، علشان هي بتاكل و انتي لا
و ابنتها تعاني من مرض السمنة الي وقتنا هذا
كانت صديقاتي أمهات أصحابها دائماً ما يقولون
- اقرأى المعوذتين يا ايمان ، بنتك محسودة ، دائماً باكية و حزينة ، دا أكيد حسد ، دي أجمل بنت في المدرسة كلها
وأنا أقول لهم في سري
- لا مش حسد ، دا سحر اسود مسمّم قاتل اسمه فريد
و كنت دائماً ما أحثها علي أن تخرج مع أصدقائها من البنات و الأولاد زملاء المدرسة أو من الجيران المقربين لبيتنا ، كنت أحاول معها و مع أخيها أن يصبحا أطفالا و شبابا ،و أن تكون علاقتهما بالله هي

طـوّق نجاتهـما في هـذه الحيـاة

فنجحت مع دعاء في الثانية و مع محمد في الأولي

فـكان محمـد اجتماعيـا مرحـا خـارج المنـزل ، و داخلـه يقيـم في حجرتـه يضـع سـماعات ألعابـه الإلكترونيـة حـول أذنيـه و يطـير معهـا إلي عـالم الخيـال حتـي ميعـاد نومـه

و كانـت دعـاء تنهـي فروضهـا المدرسـية و تنهـي يومهـا بصـلاة غـير الصلـوات المكتوبـة ، اعتـادت منـذ طفولتهـا كـما علمتهـا و سـبقتني هـي بخطـوات بإطالـة صـلاة الليـل التـي كانـت تصليهـا بالسـاعات

اعتـادت أن تـشرب سـجائر معـي (و شيشـه) مـع أصدقائهـا ، و لَـم تتحجـب ،

ليس كل ما هو ظاهر يُفسر ، الباطن فقط هو الدليل

و علاقة الإنسان بربه علاقة قلوب لا يفهما أغلب البشر

كانـت و رغـم طولهـا الـذي تعـدي ال ١٧٠ سـم مـتر و الـذي ورثتـه عـن جدهـا لأبيهـا إلا أنهـا كانـت في هـذه الفـترة تـزن ٤٥ كيلـو جرامـا فقـط ، و كأنهـا مومياء تتنفـس

لم تحـضر حفـل تخرجهـا و إن كانـت قـد خرجـت إلي الحيـاة بعـد خروجهـا مـن المستشـفى كشـخص جريـح ، مكتئـب حزيـن يعالـج بالأدويـة الكثـيرة المؤثـرة بطـول مدتهـا عـلي أجهـزة الجسـم المختلفـة ، و لكـن الصقـر بداخلهـا قـد نبتـت لـه مخالـب و تعلـم في كبريـات مـدارس الحيـاة ليعـرف كيـف يأخـذ حقـه مـن حابسـيه

و بعـد أن اسـتردت دعـاء عافيتهـا قدمـت أوراقهـا لتعمـل مهندسـة في إحـدي الـشركات المسـؤولة عـن وضـع تصاميـم مداخـل الفنـادق الفخمـة بـدبي و انشـغلت في عملهـا الجديـد و تنفسـت أنـا الصعـداء عـلي سـلامتها

و منـذ الشـهر الأول و الشركـة تحـول لهـا راتبهـا عـلي أحـد البنـوك و اسـتخرجت لأول مـرة بطاقـة للـصرف (فيـزا كارت)

و أصبحت أخيرا حرة تماما ، تخرج و تدخل و فريد لا يكملها ، تلبس ما تلبس لا يناقشها ، و كأنها سقطت من حساباته تماما ، الشيء الوحيد الذي كان يتحدث فيه معها غير إذلالها بما صرفه عليها و مطالبته لها برد هذه الأموال ، هو أن يجعلها دائماً فاقدة للثقة في نفسها ، دائماً ما ينعتها بالغبية ، و يقلل من أي عمل تعمله

في الصف الثالث الإعدادي أتت ذات يوم فرحة من المدرسة

- بابا بص انا جبت النمرة النهائية في الحساب و الفصل كله سقف لي

- أكيد غشيتي

- غشيت يعني إيه ،؟ لا و الله العظيم مغشتش

- يبقي المدرس بتاعك حمار ، يعني هتجيبي النمرة النهائية ازاي و انتى بنت ايمان الغبية

علي الرغم أنه يعرف من هي ايمان في الرياضيات حتي وقتنا هذا ، و لكن الغباء هذا الذي يتكلم عنه لا يعرفه سواه

و في إحدي المرات و هي في الجامعة و كانت تستعد للخروج و تأخذ رأيى فيما تلبسه

- قمر يا حبيبة أمك زي القمر و مكياجك حلو أوي

ليرد هو كحمار رفع من أمامه البرسيم فجأة

- قمر ايه بس ؟ هو اللي زيك يخلف قمر منين، هو انتي يا دعاء متعرفيش ان جدودك سودانيين ، ثم ضحك ضحكة سمجة مقززة

- و إيه يعني سودانيين يا بابا ، هما يعني مش بني آدمين؟

- عيلة أمك لا ،

بنفس الضحكة و بنفس اللزاجة رد ، و أنا أحاول أن أتجنب الحوار معه من الأساس فقد تعلمت أن مثل هذه الحوارات و إن كان هو يعتبرها هزارا إلا أني عندما أتدخل و أرد و أدافع عن أهلي يتحول

الحـوار إلي شـكل آخـر و ينتهـي بعلقـة و مـا يتتبعهـا

- علي فكرة يا بابا انا بحب جدودي ، حتي و انا عمري ما شفتهم

- متشـوفيش وحـش، بـس علشـان تبقـي عارفـه انتـي شـبهم بالظبـط ، نفـس السـواد و السـحنة العفشـة

إن كان هـو أعمـي البـصر و البصـيرة و لا يـري بيـاض ابنتـه التـي كانـت تحسـد عليـه صراحـة ، فـلا كلام أو نقـاش يجـدي معـه

و هكـذا عـلي مـدار عمـره لا يفعـل شـيئا سـوي تكسـير مجاديـف البنـت عـلي أي سـبب مهـما كان أو ضعيـف ، فأفقدهـا الثقـة في نفسـها تمامـا ، و مهـما حاولـت أنـا أن أصلـح مـا يفعلـه هـو ، كانـت دائمـاً دعـاء مـا تتأثـر بمـا يقـول لهـا

أكاد أجـزم أن تسـعة و تسـعين بالمائـة مـن المـرضي النفسـيين آباؤهـم هـم السـبب في مرضهـم ،

لمـاذا نـأتي بـأولاد إلي الدنيـا إذن ونحـن غـير واعـين أن مصـير هـؤلاء الأولاد في رقبتنـا ، و أنهـم كالإسـفنجة يمتصـون أفعالنـا و يتأثـرون وهـم مـا زالـوا داخـل الرحـم ،

وبـدلا مـن أن نقـدم للمجتمـع شـخصا سـويا يسـاعد في تعمـير البشرية ، نقـدم جسـدا مريضـا ينخـر فيـه السـوس ، نخـرج عقدنـا التـي ورثناهـا مـن آبائنـا و لَـم نتعلـم الـدرس و لَـم نفهـم فنورثهـا لأبنائنـا و هكـذا الدائـرة لا تغلـق ، فتنتـج أجيـال و أجيـال مريضـة هشـة .

ألعن فريد كل ليلة و أدعو عليه في كل صلاة ، نعم الله يسامح و يغفر و يعفو و لكن أنا و إن كنت جزءا منه و نفخ في من روحه لكني لن أستطيع أن أسامحه ما حييت ، فغدره بي أكبر من أن يغتفر ، أخذني بالكذب و الحيلة و لَم يحبني يوما ، و استغل ضعفي و وحدتي و انهال ظلما و طغياناً ، ظهر طمعه في مالي و لما يئس أخرجه علي بخلا و ذُلا و مهانة لن أسامحه ما حييت ، بل بعد حادثة دعاء أصبحت أتمني موته كل يوم .

26

كنت قد تعرفت علي مجموعة من السيدات من أولياء أمور أصدقاء دعاء و محمد في مدرستهم و من ثم بعد تخرجهم أصبحنا علي علاقة وطيدة ، و هذه تعرفنا علي أخري و تلك تعرفنا علي جارتها حتي أصبح لدي الكثير من الصديقات و لأننا كلنا مغتربات فأصبحنا بمثابة الأهل لبعضنا البعض ، و كان يجمعنا أحد المقاهي المشهورة علي مرسي دبي البحري و الذي كان مالكه و كل العاملين به من المصريين فشعرنا بأننا في قلب الوطن و إن كان عددا قليلا من الساعات ،

اعتدت السهر كل ليلة مع بعضهم علي حسب ظروف كل منهن و إن كان معروف للجميع أنني دائماً متواجدة في موعدي بعد صلاة العشاء و حتى الثانية ليلا ، فأنا كنت نهارا أجهز الغداء و أنظف البيت وأضع الأكل علي الطاولة مغطي ، يأتي الأولاد فيأكلون و ينصرف كل واحد إلي حاله سواء داخل المنزل أو خارجه ، و يأتي فريد بعد صلاة المغرب يأكل و يدخل غرفته ، يضع جهازه المحمول بين يديه تارة و يتفرج علي التلفاز تارة أخري حتي وقت العشاء ، و أكون أيضا قد جهزت بعض الأكلات الخفيفة التي تناسب العشاء ثم أصلي العشاء و أخرج ،

و هكذا أوجدت لنفسي حياة لأعيشها و رجعت للعب الكارت مرة أخري و ابتسامتي لا تفارقني أبدا و أملي في الله كبير فبعد أن أعاد لي دعاء من الموت ليس هناك ما يذبحني ،

كنت دائماً ما أدعي أني علي وفاق كبير مع زوجي ، و أمدح فيه دائماً أمام الأصدقاء ، فأنا لم أحب يوما إحساس الشفقة ، و تعلمت أن الشكوي لغير الله مذلة ، حتي و إن كانت أغلب السيدات يشكين

لبعضهـن البعـض حالهـن مـن أزواجهـن إلا أننـي أبـدا مـا كنـت أحـكي عـن حـالي

كانـت مـرات كثـيرة تصاحبنـي دعـاء ، أو تخـرج مـع أصدقاءهـا ثـم تنضـم إلي لنذهـب إلي البيـت سـويا ، و كان فريـد لا يحدثنـا بعـد حادثـة دعـاء إلا قليـلا و هـدأت الأمـور إلي حـد كبـير

و كنت أضحك ، دائماً ما أضحك

حتـي أن الصديقتـان المقربتـان جـدا لي و اللتـان بحكـم معرفتـي بهـما منـذ قدومـي إلي دبي عرفـا بقصتـي بعـد أن دخلـت دعـاء المصحـة و اختفيـت عـن صحبتهـما فاتصـلا مـرات و مـرات حتـي اضطـررت أن أحـكي لهـما ،و إن كنـت لا أتحـدث كثـيرا

- أنـا مـش قـادرة اصـدق قصتـك دي يـا ايمـان ، انتـي ازاي بتضحـكي كل يـوم و لا كأنـك عايشـة المـآسي دي كلهـا

قالـت رغـده و التـي كانـت ابنتهـا أقـرب صديقـة في المدرسـة لدعـاء و اقتربنـا مـن بَعضُنَـا كثـيرا و لكـن لم نحـك أبـدا أنـا أو دعـاء لهـا أو لابنتهـا ، ثـم أردفـت

- و دعـاء عمرهـا مـا حكـت لمـي عـن أي حاجـة ، بـس انـا كنـت حاسـة ، دعـاء طـول عمرهـا حزينـة و الدمعـة تحـسي ثابتـة في عينهـا ، يـا حبيبتـي يـا بنتـي ، و لا انتـي يـا ايمـان ازاي تسـكتي ازاي ؟

و لأننـا كنّـا مازلنـا في المستشـفى في هـذا الوقـت فلـم أكـن أسـتطيع التبريـر و الـشرح

و صديقتـي الأخـري و التـي تعرفـت عليهـا في المقهـي و كانـت سـيدة كبـيرة في السـن أرملـة شـامية الجنسـية و كانـت عاشـقة للحيـاة و ذات خـبرة واسـعة فهـي كانـت تعمـل مترجمـة في الأمـم المتحـدة

قالت لي بلهجتها الشامية الجميلة

- هالزلمـه اللـه يخـده ان شـاء اللـه مـا هيمـر عـلي الجنـة و لا يشـم

رائحتهـا حتـي ،

- ان شاء الله يا رب

- بـس حبيبتـي كيـف انـك بتضحـكي مـا شـاء اللـه و لا كأن عنـدك شيء ، اللـه يكملـك بعقلـك و يزيـدك ايمـان يـا ايمـان ، لكـن مـا تزعـلي منـي أنـا زي اختـك الكبـيرة ، انتـي كتـير غلطانـة بهـي الحـكي ، مـا كان لازم تسـكتي أبـدا ، ولا تقوليـلي مـا لي حـد و لا شي ، انتـى كتـير غلطانـة عـن چـد

اسـتقرت دعـاء في عملهـا حتـي أنهـا اسـتطاعت في شـهور قليلـة أن تشـتري سـيارة ذات طـراز ريـاضي ، و بـدأت تشـتري لي و لهـا ملابـس جديـدة عـن تلـك التـي كنّـا نرتديهـا بالأمـر المبـاشر مـن فريـد بعـد أن يذلنـا ذُل الإبـل حتـي يوافـق

و كنـت و بعـد أن اسـتقر بهـا الحـال أدعـو اللـه أن تعـثر عـلي ابـن الحـلال الـذي يحبهـا و تحبـه و يعوضهـا عـما مـرت بيـه في حياتهـا ،

في عامهـا الخامـس عـشر كانـت قـد بـدأت في كتابـة الخواطـر التـي كانـت بمثابـة متنفـس تخـرج فيهـا مـا تشـعر بـه ، و كنـت دائمـاً ما أشـجعها و كان دائمـاً فريـد يسـتهزئ بهـا و بمـا تكتـب حتـي أنهـا كفـت عـن المحاولـة أو هكـذا تخيلـت لأجـد قبـل عيـد ميلادهـا السـابع و العشريـن قصاصـة ورقيـة في أحـد أدراجهـا و أنـا أبحـث عـن عـود ثقـاب أشـعل بـه سـيجارتي قد كتبت فيها :

ككل المتناقضـات في حياتنـا ، تبـدأ سـتائرعام عـلي الانسـدال ، ،و يسـتعد آخـر لـلإشراق ،،

كميـلاد النهـار مـن عتمـة الليـل العقيـم، الـذي كان يظـن أنـه لا أمـل لشـعاع نـور واحـد يـراه، و لكـن تدهشـه الأقـدار ، و يلـد نهـارا سـاطعا مشرقـا جميـلا،،

يمـر شريـط حياتُنـا أمامنـا و نحـن نـري عامـا قـد أوشـك عـلي الرحيـل ، و نسـتقبل الجديـد بفسـتان عيـد مزركـش بـه كل الـورود و الألـوان و

الأحـلام و ضحـكات كنـا نحتفـظ بيهـا ليـوم قـادم سـعيد،
يسقونا مع الميلاد شرابا يجعلنا نري النهاية كأنها لم تكتب لنا قط،،
و مـن يرحـل مـن عالمنـا و أمـام أعيننـا نتأكـد عـين اليقـين ، أن الطبيـب لم يُسـقه شربتـه ،
و نتخيـل أن العمـر لدينـا خالـد ،، جـذوره ممتـدة عتيدة راسـخة رسـوخ أفـكار في عقولنـا أذابوهـا لنـا في نفـس الشراب،
يمـر قطـار العمـر بنـا، و رغـم كل النجاحـات و الإخفاقـات ، الأفـراح و الأتـراح ، الدمـوع و المضحـكات
إلا أننا كل عام نبحث عنه ....
شيء نستعجله ....
ننظر من نوافذ القطار في كل محطة لعلنا ندركه،

في وردة حمـراء معطـرة بعطـر لم نشـمه مـن قبـل، طرحـت في غـير أوانهـا ،،
في رسالة ربما أرسلت إلينا في رجل حمام زاجل من زمن بعيد،
في مهر أبيض جميل يقسم لنا أنه كان يحمله علي ظهره ،
في طرقة باب غير متوقعة ،
تأتي دائما في لحظة ولادة فجر جديد،
في صدفة غريبة في بلاد بعيدة تظل تفتش عنها في كل الوجوه،
في ورقـة بداخـل زجاجـة ملقـاة في بحـر عميـق ، مكتوبـة بحـبر سري لا يفـك شـفرتها سـواك ،
في نظـرة عـين التقـت عينيـك في ليلـة ميـلاد لم تكـن محسـوبة في عـداد أيامـك ،
أو لمسـة يـد شـعرت بهـزة أرضيـة خفيفـة انتابـت جسـدك في سـلام كنـت تحسـبه أنـه عابـر ،

نبحث و نبحث و لا نمل البحث و لا نفقد الامل ،
و تمر الأيام و المحطات ،،
و لا نتعطر بعطر الوردة الحمراء ، ولا نجد لها أثرا علي أي من النوافذ ،،
و يخبرونا أن الحمام الزاجل قد كف عن حمل الرسائل ،،
و أن المهر الأبيض قد كسرت رجليه و تاه من كان يحمله في غيابات المدائن ،،
و أن في بلاد الغربة البعيدة ، كل البشر يغطي وجوهم الثلج و قلوبهم مثل الخزائن ،،
و أن البحر قد اشتد موجه وكسر كل زجاجته و محا موجه كل أحبار الرسائل ،،
و أن نظرات العيون و لمسات الأيدي أصابهم من الكبر ما استلزم الذهاب بهم إلي الطبيب فقد اختلطت عليهم كل القرائن ،،
و يمضي العام تلو العام،
نعيش اللحظات و تمضي بنا الكثير من المحطات، و نحلف بعين اليقين أننا قد وجدناه، ولا يلبث أن نكتشف أنه سراب،
و لكن من أجمل متع الحياة، أننا لا نمل من البحث و التفتيش و التدقيق عاما بعد عام،
و الأجمل هو اليقين بوجوده ،
العيش بتخيل لحظة العثور عليه ، بجعله حلما ورديا يساعدنا علي الاستيقاظ مبكرا لاستقباله ، فاردين ذراعينا للحياة ، مستمتعين بشم رائحته أنه آت لا محال ،
فإذا مر العام تلو العام ، واقترب القطار من محطات يقال لنا أنها شارفت علي الانتهاء ، فهي بالتأكيد أقل مما فات ،
لم نيأس قط ، فإذا لم نجده في أيام حياتنا و ليالى أعمارنا في هذه الحياة،

فهو بالتأكيد موجود في مكان ما،
ليس علي هذه الأرض ،
فهـي ليسـت آخـر مـكان ، هنـاك أراض أخـري أو لربمـا سـماء، أو مـداراتٍ و أكـوان لا نعلمهـا،
و لكنه موجود هناك
موجودٌ يقيناً،
ليـس لنـا سـوى الاجتهـاد في البحـث و عـدم فقـد الأمـل و مواصلـة الأحـلام .....
و النظر في مرآتنا عند بداية كل عاما.....
لنقول ، أننا سوف نجده هذا العام .....
آه يـا ابنتـي إن كل مـا أتمنـي الآن أن تجـدي هـذا الشـخص الـذي تحبينـه و يحبـك و تتزوجـي و تبتعـدي عـن هـذا الحـزن بأقـصى سرعـة، هـل يـأتي الْيَـوْم الـذي أراك فيـه عروسـة جميلـة تزفـين إلي فـارس نبيـل فقـط يصونـك و يعوضـك عـن كل مـا مـر بـك في حياتـك
- ماما
- نعم يا روح ماما
- عندك إيه النهاردة
- مانتي عارفه زي كل يوم ، هصلي العشا و انزل اروح الكافيه
- طيب انا كنت عاوزه أعرفك علي حد كده
- حد مين يا دودو
- إسماعيل
طـار قلبـي مـن الفـرح حتـي أننـي قـد سـلمت عـلي فريـد و أنـا خارجـه مـن كـبر فرحتي
شـاب أسـمر رفيـع وسـيم جميـل بـه كل المواصفـات التـي تتمناهـا أي أم لابتهـا ، و أهمهـا أنـه ذو أصـول سـودانية فأمـه سـودانية و أبـوه مـصري

مـن الإسـكندرية ، فاختلـط الجـمال و خفـة الـدم في شـخصه

- يا حيلالك يا ايمان

- يا حيلالك يا إسماعيل

مـا كنـت أتمنـي لابتـي غـير إسـماعيل ، شـاب مكافـح يعمـل في دبي منـذ سـبع سـنوات ، زميلهـا في شركـة الهندسـة ، يسـكن مـع صديقـه في شـقة صغـيرة و للصدفـة يمتلـك سـيارة نفـس طـراز سـيارة دعـاء

أصبحـت ألقاهـم شـبه يوميـا و أصبـح إسـماعيل في مقـام محمـد ودعـاء عنـدي ، أحببتـه حبـا جـماً ، و شـعرت مـن كل تصرفاتهـما معـا أن سـهم الحـب قـد اخـترق قلبيهـما

- مش عارفة يا ماما ، خايفة

- ليـه بـس يـا دعـاء دا ابـن حـلال و بيحبـك و انـا بحبـه دا واد زي العسـل و سـكر و النبـي لـو مكنتـش متجـوزة لكنـت اتجوزتـه انـا بهزار أخذت أداعبها

- أنـا حاسـة اني مـش ماليـة عينـه و كل شـوية يبـص عـلي البنـات الـلي حوالينـا

- انتي يا حبيبتي ابوكي خلاكي معندكيش ثقة في نفسك

ثم جذبتها إلي المرآة

- بـصي يـا روحـي ، انتـي جميلـة ازاي ، بـصي يـا قلبـي ، محـدش في جمالـك بـس انتـى الـلي مـش بتبـصي في مرايتـك أبـدا

و عشـت معهـا قصـة حبهـا و فاجـأني بالحضـور كل مـن جـورج و محمـد و فـادي ، فـادي الـذي عشـت معـه قصـة حـب في خيـالي تمنيتهـا بعـد زواجـي المؤسـف مـن فريـد

كم أفتقد هذا الإحساس و هذه المشاعر

لمسـة اليـد و دقـة القلـب و رعشـة الجسـد ، و لهفـة اللقـاء و التقـاء العيـون ، و سـهر الليـالي و عـد النجـوم

إني أحب الحب

و لكـن قـد قتلـه فريـد بسـكين تلـم بـارد يعلـوه الصـدأ و غـرس نصلـه في ركـن مـن قلبـي و تركـه ينـزف ببـطء عـلي مـر تلـك الأعـوام

و اليـوم ، الْيَـوْمَ الـذي أحبـت فيـه ابنتـي ، داوى حبهـا جرحـي ونـزع إسـماعيل هـذا السـكين الصـدئ مـن قلبـي و داواه بضحكـة منـه فبـدأ بالتشـافي

نعم أنا أحب الحب

و لا أملـك غـير أن أدعـو عـلي فريـد الـذي تعمـد قتلـه في قلبـي كل تلـك السـنوات

27

كطير حبيس يترجي النجاة و يحلم بالطيران عاليًا مرفرفا بجناحيه لأول مرة في حياته و عندما سنحت له الفرصة و تُركَ باب قفصه مفتوحا سهوا، أصيب بشلل مفاجأ ، مال بجسده يحاول الخروج، و كأن سقط عليه من أعلي بشبكة حديدية قيدته و منتعه حتي من التفكير، ينظر إلي الباب و يشتم رائحة الحرية و جسده مكبل بماض نخر فيه كما ينخر السوس الدقيق، ينظر إلي طائر الحي الرابض بين ضلوعه منذ زمن ، يحاول حثه علي الاستيقاظ ،علي استنشاق الحياة ... فيأبى، فصورة أمها تضرب و تهان و أبوها بشكل غراب أسود شرير، يتربص به و شم في عقلها أن هذا هو الحب و الزواج كل الرجال فريد و كل النساء ايمان

حاولت و لم تستطع، برغم مشاعرها التي تحركت، برغم الحب الظاهر من إسماعيل ، برغم سريان القشعريرة ببدنها عندما يتلامسان حتي صدفة، فض أبوها غشاء بكارة قلبها بعنف و تركه ينزف حتي الموت.

حزنت حتي أني لبست الأسود ، ليس علي إسماعيل و حسب و لكن علي قلب بنتي الذي وضعه أبوها في صندوق و أحكم غلقه بسلاسل غليظة و ألقي به في وسط المحيط ،

و حاولت أن أنسي وأتعايش فلم أستطع و زاد كرهي و غضبي علي فريد و أصبحت ألعنه حتي في وجهه و لا أبالي و إن كان قد وجدها فرصة و كأنه يتلذذ بعذابي أو يزيد من نشوته فرجع مرة أخري إلي سبي و ضربي فقط عندما تكون دعاء بالخارج فهو من يوم ما حدث لم يجرؤ علي أن يشتمني حتي أمامها

وعندما كانت تستحلفني بالله أن أقول لها إذا كان ضربني مرة أخري عندما تعود فتجد آثار الضرب علي وجهي و علي جسدي و أنكر بشدة ، تخرج كالثور الهائج لتفتح عليه باب حجرته و ترمي بما يطول يديها من غرفته مقسمة أنها ذاهبة إلي الشرطة في التو و أنها سوف تقاضيه أيضا و أنها تكلمت مع محامي شركتها و أبلغها أنه سوف يحكم لنا من أول جلسة و أنه سوف يدخل السجن في هذا العمر هذا غير فضيحته وسط زملائه و أرباب عمله و معارفه ، و سوف تحكي و تحكي لكل البشر عن هذا المهندس المفتري الظالم المجنون

قالت و قالت و هو يفتح فمه من الدهشة للجرأة و السفه التي تتحدث بهما بل أكاد أجزم أنه قد بدأ تخيل حاله و هو يرحل إلي مصر في فضيحة أو يحبس و يحرم من عمله أو يفضح أمام زملائه و أصدقائه الذين نمثل أمامهم جو الأسرة السعيدة و التي كان يرغمنا في يوم الجمعة من كل أسبوع أن نخرج معهم و نظهر أمامهم كم نحن عائلة محبة حنونة نمتن لعائلها عظيم الامتنان .

بعد عدة أيّام حدثت مشكلة لدعاء في العمل حيث وصلت رسالة بالبريد الإلكتروني من أحد العملاء يشكو دعاء أنها تماطل في تسليم الرسومات الخاصة بفندقه و تتعنت و لا يعرف السبب و يريد أن يستلم مشروعه أحد المهندسين الآخرين و لا تكون هي

و لما صدق مديرها هذه الشكوي دون أن يحقق فيها و أعطي المشروع بعد أن تعبت فيه عدة أشهر إلي أحد زملائها قدمت دعاء استقالتها

و فرحت أنا لحظتها ظناً مني أنها قد تعبت في الخمس سنوات التي عملت فيها و أنها من حقها الراحة قليلا حتي تجد عملا آخر أكثر راحة و أكبر تقديرا من سابقه

و كان محمـد قـد أنهـي تدريبـه في شركـة والـده و ينتظـر أن يعـيّن رسـميا فيـه

لنبدأ مرحلة من الإستقرار نوعا ما

و لكن

لا يأبي القدر

لا

ليس القدر

بل

يأبي فريد

و يستكثر علينا الراحة و الاستقرار بعد ثلاثين عاماً عشتهم معه

- علي فكره انا سويت معاشي ، و راجعين كلنا مصر

28

سبعة عشر عاما عشناها في دبي و تأقلمنا علي الحياة بها ، لم ننزل مصر سوي مرات معدودة ، فبعد أن توفي والدي فريد أصبح نزلونا نادرا ،

و كنت بعد سنتين من إقامتي بدبي قد قابلت إحدي قريباتي صدفة و تعاملت معي بحذر في البداية ثم ما لبثت أن اطمأنت لي و حكت لي كيف أنهم بعد أن هربت و كفرت من وجهة نظرها قد أعلنوا وفاتي بالفعل بل أقاموا لي قداسا علي روحي و دفنت في مدفن خاص بي عليه اسمي و قالوا أن هذه وصيتي من الصغر و هذا حتي يتجنبوا كتابة اسمي علي المدافن الخاصة بالعائلة و كأنهم يريدون محو أي شيء يذكرهم بي حتي و لو مجرد اسم ، و كانت هذه القريبة هي الخيط الوحيد الذي أعرف منه أخبار عائلتي و أنها تعرفني في السر ، فهي تخشي أن يعرفوا أني علي علاقة بها فيقاطعونها هي الأخري

بعدها بفترة قصيرة تلقيت منها خبر مرض والدتي مرض موت ، و كان زوجها قسيسا في كنيسة (سانت جوزيف الكاثوليكية) بإمارة أبو ظبي ، و كان رجل دين علي خلق و علم و محبة حقيقية لكل البشر علي اختلاف عقائدهم و جنسهم ، ذهبت إليه و أنا أبكي و ترجيته أن يتوسط لي عندهم حتي أري أمي في آخر أيامها ، و بالفعل وافقت ريفان و والدتي أن أزورهما في بيتي القديم بمصر الجديدة و اتخذا كل الاحتياطيات حتي لا يعلم أي من إخوتي بهذه الزيارة ،

و وافق فريد بل تهلل فرحاً معتقدا أن هذه الموافقة سوف تعيد لي ميراثي و أن المياه سوف ترجع إلي مجاريها بيني و بين أمي و إخوتي ، و لكن أنا كان كل ما يهمني أن أري أمي قبل أن يتولاها الله برحمته

، أخـذت أولادي في إجـازة قصـيرة و نزلـت إلي مـصر

كاد قلبـي يتوقـف و أنـا أخطـو بـاب البيـت و أشـعر أن أسـهما ناريـة تخـرج مـن عيـون كل مـن يـراني عـلي الرغـم مـن أنهـم لا يعرفوننـي

-حضرتك طالعة فين

سـألني عّـم إسـماعيل و الـذي بالطبـع لم يتعـرف عـليّ و أنـا بالحجـاب ، و إن فكـر حتـي فهـو يعـرف بالتأكيـد أني الآن في عـداد المـوتي

- عند مدام زيزي

وعـلي الرغـم مـن أنـه ظـل يتفحـص وجهـى و يـكاد يـصرخ (آنسـه ايمـان؟) إلا أنـه صمـت مصدومـاً

و تذكـرت دينـي لـه فأخرجـت مـن محفظتـي ورقـة فئـة مئتـى جنيـه و مـددت يـدي لـه

- إيه دا يا ست هانم ، سألني في استغراب

- دا دين قديم في رقبتي يا عّم إسماعيل

و تركته في دهشته و عينه يفركها بيديه الاثنتين

وقفـت عـلي بـاب شـقتنا أتفحصهـا قبـل أن أقـرع الجـرس ، و شـعرت لوهلـة أنهـا تمـد لي يديهـا لتأخـذني بالأحضـان

كنـت و منـذ علمـي بمقابلتـي لأمـي و أختـي و أنـا أتخيـل هـذه اللحظـة ، هـل كان الزمـن كفيـلا بنسـيان مـا تأججـت بـه النفـوس ، هـل مـرض أمـي سـوف يجعلهـا تغفـر لي ، مـن المؤكـد فإنهـا قـد وافقـت عـلي الأقـل عـلي رؤيتـي و هـذا شيء ظلـت ترفضـه سـنين كثـيرة

تشـجعت عندمـا شـعرت بحضـن البـاب قبـل أن أدق جرسـه ، فالبـاب نفسـه قـد عرفنـي ، أحسسـت أنـه يحتضنـي ، كان يفتقـدني بالتأكيـد

و فتحـت ريفـان البـاب لنظـل ننظـر إلي عيـون بَعضنَـا البعـض لوهلـة لم تسـتغرق ثـوان قليلـة إلا أنهـا قـد مـر فيهـا العمـر الفائـت كلـه، رأيتهـا وهـي تلعـب معـي و أنـا صغـيرة و يـوم تخرجهـا و ليـالي الفـرح في حديقـة

منزلنـا ، و لقائنـا جميعـا عـلي طاولـة عشـاء ، و نحـن نلعـب الـكارت ، كـبرت بالتأكيـد لكنهـا لم تتغـير و تغـيرت أنـا بالتأكيـد

ارتميـت في حضنهـا و أنـا أبـكي ، و للحظـة شـعرت أني أريـد أن أصرخ و أحـكي لهـا كـم المهانـة و الـذل اللذيـن أنـا فيهـما ، ولكنـي بلعـت ريقـي و ابتسـمت

و عـلي الرغـم أني توقعـت أن أجـد أمـي في فراشـها تحتـضر أزحـت ريفـان عـن حضنـي بعـد أن نظـرت لأجدهـا تقـف بكامـل أناقتهـا خلفهـا ، حتـي أنهـا كانـت ترتـدي ذلـك العقـد الألمـاس الـذي أهـداه لهـا أبي مـن زمـن ، عقـد الأمـيرة فوزيـة

نظـرت في عينيهـا و كانـت جامـدة للحظـة ، و لكـن مـا أن وقـع نظرهـا عـلي دعـاء و محمـد ، حتـي انفرجـت أسـاريرها منحنيـة لتسـلم عليهـما قبـلي

- تعالي يا حلوة اسمك إيه ؟

- دعاء

- أنا حبوبتك يا دعاء ، تعرفي يعني إيه

- ايوه حضرتك جدتي

- ايـوه بتجـولي لي يـا حبوبـه ، عرفتـي ؟ و جـدو بتجوليلـه سـيدي ،، بـس هـو مـش موجـود ، هـو في الجنـة يـا حبيبـي ، نشـكر ربنـا ، تعالـوا بفرجكـم صـوره

لوهلـة شـعرت أنهـا لـن تسـلم عـلي و لكنهـا و قبـل أن تأخـذ الأولاد إلي مكانهـا المفضـل بجانـب الشرفـة و التـي نظـرت إلي منهـا في آخـر مـرة تلاقـت أعيننـا ، وجدتهـا قـد أفلتـت أيديهـم مـن يديهـا لترجـع خطـوة إلي الـوراء و أنـا أقـف ثابتـة و كأني وتـد في الأرض أُحكـم دقـه، لترجـع لتفتـح لي يديهـا عـلي وسـعها و تأخـذني في حضنهـا

للحضـن لغـة يفهمهـا قليـل مـن البـشر ، فنهـاك حضـن محبـة يـزاد

الضغط فيه لتشعر أن القلب قد اخترق القلب الآخر ، و هناك حضن اشتياق يطول فيه الحضن كثيرا و تشعر أنهما لا يريدان أن ينفصلا عن بعضها البعض

و هناك حضن عتاب ، يزداد فيه الضغط و لكن بتربيتة علي الظهر عدة مرات و كأنها تتحدث بالنيابة عن الحاضنين ، و هناك حضن سريع خاطف ، مجرد أداء باهت لا حب فيه

كان حضن أمي مزيجا من الأنواع الثلاثة معها ، محبة و اشتياق و... عتاب

عتاب طويل و صامت

- كيف حالك يا ايمان

- أنا كويسة خالص يا ماما ، في أحسن حال و الله

و كنت و رغم أن دعاء كانت في الرابعة عشر من عمرها و محمد اثني عشر عاما ، إلا أني قد حكيت لهما قصتي مرارا و تكرارا ، و قلت لهما أسبابي بكل صراحة ، قلت لهما أني أحب المسيحية كاتباع تعاليم عيسي عليه السلام ، و ليس اعتراضي علي الدين في شيء سوي أني اقتنعت أن الإسلام جاء كدين أخير يجمع اليهودية و المسيحية أنزله الله علي رسوله و من ثم اختتم به التدرج لبني آدم لفهم أصول عبادته و جعل محمد خاتم الأنبياء و الرسل أجمعين ، و أفهمتهما موقف أهلي و لماذا فعلوا ما فعلوا معي

وقبل لقائي بأمي و أختي لقنتهما رد الأسئلة التي سوف تطرح عليهما ، و خصوصا عن أبيهما ، و قلت لهما أن هذا ليس كذباً و لكن إصلاح موقف ليس إلا ، فليس كل ما يدار بداخل جدران منزلنا يُعرف لأي كائن من كان

- وينه أبوكم ،؟ سألت أمي و هي تنظر إلي دعاء

- بدبي يا حبوبه

- ما شاء الله حبوبه طالعة من بوجك زي العسل يا بنيتي

كانت دعاء علي صغر سنها إلا أنها قد أدركت ما أنا مقبلة عليه و إني قد عقدت العزم علي عدم البوح بأي من مأساتي و مأساتهم

و عرفت من أمي أن إخوتي يرفضون رفضا قاطعا وجودي في حياتهم مرة أخري هم و زواجاتهم و أولادهم بالتبعية ، حتي و بعد أن أخرجت والدتي (ألبوم الصور) الخاص بِنَا منذ الصغر و حكت لدعاء و محمد عن كل صوره و ذكرياتها فيها و عن والدي و إخوتي و أولادهم، و كانت دعاء شغوفة و هي تسألها و فرحة و كأنها كانت كالغزال الشارد في البرية و وجد فجأة ضالته فارتاح و ذهب معهم لجندول ماء يرتوي بعد رحلة شاقة صعبة ، و.كانت دعاء ترتوي من جدتها من صور أخوالها و خالاتها ، من سماع القصص عن العائلة ، عن الأهل و السودان ، عن الفرح الدائم و الضحكة التي تخرج من الصور و كأنها مسموعة من وضوحها و صدقها علي الوجه و هذا ما لم تره من قبل في حياتها ، فلا عائلة ولا أهل وحتى الضحكة كانت عزيزة نادرة في حياتها ، استبدلها أبوها بالصراخ و البكاء و الضرب بالحزام علي ظهورنا

استأذنت أمي أن أدخل إلي حجرتي لدقائق وحدي ، و التي بُهت لما رأيتها كيوم خرجت منها ، لم يتغير فيها شيء سوي أن وضعوا صورتي علي حرفها شريطة سوداء ، صورة العذراء و المسيح صنع يد أبي بإطارها المضاء و.رائحة بخور العود السوداني الممزوج بأعواد القرفة التي لا تختفي من بيتنا و التي تميزه علي الدوام ، لم أشعر بنفسي إلا و أنا أرتمي عَلى سريري و أبكي بحرقة احتضنت تماثيل المسيح و العذراء ، حبي لهما لم ينقص يوما و لا يخالف عقيدتي الحالية في شيء غير أني كنت احتضنت يد أبي معها ، كم أفتقد البيت و الدفء و الحنان ، و الحب ، الحب كان عنوانا لبيتنا ، لماذا ؟ لماذا ؟

إن جل ما طلبته في حياتي هو الحب، الحب الذي كنّا نتنفسه في

هـذا البيـت ، البيـت بالمعنـي الحـرفي للبيـت ، أب و أم و أولاد ، تحتويهـم الكلمـة بـكل معانيهـا ، و يجمعهـم حضـن مـن النـوع الأول دائمـاً

ماتـت أمـي بعـد هـذا اللقـاء بأشـهر قليلـة ، و رفـض إخـواتي أن أحـضر جنازتهـا أو آخـذ عزاءهـا ، ماتـت و دعـوت لهـا بالرحمـة و المغفـرة ، فالله غفـور رحيـم

و ظللـت عـلي علاقـة فقـط بأختـي ريفـان و قريبتـي التـي قابلتهـا صدفـة في دبي

29

و رجعنا إلي مصر و فريد معه من الأموال الكثير أعوام و أعوام في عمله بشركة البترول غير مكافأة نهاية الخدمة التي تعدت الخمسة ملايين جنيه و هذا ما عرفته بالصدفة البحتة ، فزوجة أحد المديرين فِي حفلة الوداع التي نظمها له زملاؤه كانت تحكي عن الأرقام التي يحصل عليها من يسوي معاشه و كيف أن الشركة تدفع لهم مكافأة كبري حتي يتركوا أماكنهم لكوادر جديدة

و كان فريد قد اشتري منذ عدة سنوات بيتا كبيرا و أرضا واسعة حوله لم يزرعها ، في أحد المنتجعات بالقاهرة الجديدة و كان بدأ في تشطيبها و لكن لم يخبرنا متي نستطيع أن ننتقل إليها ، ففي الأجازات القليلة التي كنّا ننزل فيها إلي مصر نقضي الإجازة كلها في بيتنا في المعادي و يقابله بيت أخته التي كانت كمن تنتظرنا كل عام حتي تشعل أجيج النار حتي كرهتني في مصر نهائيا و فِي آخر خمس سنين كنت لا أنزل مصر بسببها

صدم الأولاد من خبر رجعونا إلي مصر، فهم غير مؤهلين نهائيا للعيش خارج دبي الآن ، أصدقاؤهم ، بيتهم الذي اعتادوا العيش به ، المجتمع ،سياراتهم ، عملهم و إن كانت دعاء بعد هذا القرار قد تشككت في هذه الشكوى التي قدمت فيها و استقالت علي إثرها و منّ وراءها

البيت ، العفش و السيارات ، نقل صعب و غير مبرر و فِي توقيت صعب ، فدعاء قدمت أوراقها في عدة شركات و عندها مقابلات كثيرة ، و محمد ينتظر خطاب تعينيه بعد أن تدرب في شركة والده سنتين كاملتين

- احنا مش عاوزين ننزل مصر ، احنا مالناش حد و كل حياتنا هنا
قالت له دعاء منفعلة
- براحتكم و الله ، بس انتوا فيزا الإقامة بتاعتكم علي و لازم ألغيها بعد ما سويت معاشي علشان الشركة تديني كل مستحقاتي
- نعمل فيزا لوحدنا
- لازم تكونوا علي قوة شغل أو عندكم بيت ملك
- اشتري لنا بيت
نظر إليها من شعر رأسها إلي قدمها ، ثم ضحك ضحكة كلها استهزاء
- معانا شهر ، نبيع العفش و العربيات و ننزل ، و مفيش كلام تاني
- طيب يا بابا ممكن ننزل علي فيلا التجمع مش شقة المعادي
سأله محمد علي استحياء
- لا ، لسه أدامها توضيب كتير ، هننزل في العادي زي ماحنا و بعدين نشوف
ليس لدي جديد أضيفه ، فأنا و الاستسلام أصبحنا أخوين ، و الليل ثالثناً فقط صلاتي الطويلة أنا و دعاء هي كانت بمثابة ترياق النجاة لحياتنا

يا قلبي يا موجوع
البعد عنك خوف ...وانا علي الرجوع ملهوف
لكن هاعود ازي... ومَكاني كله ضيوف
يا قلبي يا موجوع... يا آهة حاضنة دموع
حب البلد بيعيش... لما يموت الجوع
يا حضن بيسعني... واحتجت له باعني
ساعة ما مد اديه... شاور ووعدني
لكني مش قلقان ... تذكرتي رايح جاي

مجـرد كلـمات في أغنيـة تخـرج مـا في صـدري و تجعـل دموعـي تنـزل كـماء منهمـر ، أي منهـما بلـدي ، حتـي حـب الوطـن ليـس لي فيـه نصيـب أيضـا

و كأن الاختبـار لم يقتـصر عـلي بيـت محطـم و أهـل مسـتغنين ، و أيضـاً وطـن لا جـذر لي فيـه ، سـودانية المولـد مصريـة الجنسـية إماراتيـة الهـوي ، و الثلاثـة ينبذوننـي

- حاضر

جمعت أشيائي مع أشلائي و رجعنا إلي بيت المعادي

و وجـه دعـاء مرسـوم عليـه حـزن و دمـوع مسـتمرة حفـرت خطـا ثابتـا في خدودهـا المتحولـة مـن لـون وردي إلي لـون أصفـر مائـل للزرقـة بلـون جثـة انتشـلوها للتـو مـن المحيـط

و بعـد سـعة البيـت و رحابتـه و حـب الأصدقـاء و ضحـكي الـذي كان يعـوض بـكائي النهـاري و لقائهـم اليومـي و لعبـي الكارت و تدخين السـجائر في أي وقـت و أي مـكان ، رجعـت مـرة أخـري لبيـت آثـار دمـائي مـا زالـت تلطـخ حيطانـه ، دخلـت البيـت و منـذ اللحظـة الأولي و أنـا أري و أسـمع الأثـاث وهـو ينظـر لي نظـرة اسـتحقار و يتغامـز و يتلامـز عـلي

هـا قـد أتـت مـن اسـتحملنا سـقوطها علينـا مـرارا و تكـرارا ، هـا قـد أتـت مـن بكـت عـلي أقمشـتنا و خشـبنا حتـي عطنتـه،

ها قد أتت الذليلة الخانعة المنكسرة ،

- فريد عاوزه فلوس اشتري طلبات للبيت

ثـاني يـوم لحضورنـا صبـاح نهـار شـتوي جميـل ، قلـت لـه بعـد أن قمـت و أنـا مـن أتممـت عامـي الثامـن و الخمسـين بتوضيـب الشـقة و إزاحـة ترابهـا الـذي كان يـأبي أن يُمحـى و كأنـه الآخـر يعاقبنـي عـلي حضـوري و خنوعـي

كنـت متعبـة و أغلـب الأثـاث محطـم و رائحـة الشـقة عطنـة مقرفـة و

منظـر أولادي و حالتهـم أثـرت في تأثـيرا كبـيرا جـدا ، فاليـوم كان غـير تلـك كل الأيـام التـي مـرت عـلي في حيـاتي ، حتـي أنى شـعرت أن دقـات قلبـي سريعـة جـدا و ضغطـي مرتفـع و أشـعر بصـداع يمـزق رأسي مـن كل اتجـاه

- فلوس إيه ، انا معييش مصري

- طيب نعمل ايه

- اتـصرفي ، مـش انتـي عنـدك حسـاب في البنـك و عاملـه لـه فيـزا كـمان و بقالـك تلاتـين سـنة بتسرقينـي يـا بنـت .....

و قـام كالثـور العجـوز الهائـج و كأن رجوعـه إلي زريبتـه قـد أحيـاه مـن جديـد، و ذكـره بأيـام عنفـوان شـبابه و جبروتـه

و كأن ختـم دخولـه إلي مـصر كان بمثابـة تصريـح واضـح لـه ألا خـوف الْيَـوْمَ ، لا بوليـس و لا قضـاء يلاحقانـه ،و لا أصحـاب يخـشي عـلي صورتـه أمامهـم ،

عـلي العكـس فقـد انتـشي بنشـوة المنتـصر الجبـار الـذي رجـع إلي عرينـه لا يمنعـه أحـد

نظـر إلي عينـي نفـس النظـرة التـي حفـرت بداخـلي و التـي كانـت تسـبب لي رجفـة مصاحبـة لغلـق عينـي مـع كرمشـة وجهـي و وضـع يـدي عـلي بطنـي و كأني مـا زالـت أحمـي جنينـي ، و كأنهـا المـرة الأولي

خلـع حزامـه و رفعـه ليهـوي بـه عـلي جسـدي المرتعـش أو الـذي كان يعتقـد أنـه مرتعـش

ليفاجـأ و بعـد ثلاثـين سـنة ، بعـد كل هـذا الـذل و الهـوان ، بعـد العمـر الفائـت و الدمـوع المنهمـرة و التـي إن أحصـت تكـون نهـرا طويـلا ، بعـد أن رأيـت مـوت ابنتـي في حيـاتي ، بعـد أن فقـدت ليـس الأهـل و الوطـن و الجـذور فقـط و لكنـي فقـدت الهويـة ، الْيَـوْمَ بعـد ثلاثـين سـنة صرخـت

- كفاية

هوي بالثانية و هو يعتقد أني أستعطفه و أستكفي بكرباج واحد

- خلاص ، دى آخر مرة تمد إيديك فيها عليا ، و مش بس كده دي آخر مرة تشوفني فيها

- هههههه هتروحي فين يا حسرة

- هروح مطرح ما اروح ملكش دعوه ، خلاص قولتلك كفاية

بصوت كان حبيسا و دموع ليست حزنا و لكن فرحا أكملت

- شنطة هدومي لسه متفتحتش ، و يوم زيادة معاك مش هييجي ، خلاص من النهاردة انا ايمان اللى انا اعرفها و انت في تلاتين سنة معرفتهاش ، خلاص كفاية ذُل و مهانة و قلة أدب ، دا انا مت يا أخي في كل ثانية عشتها معاك ، خلاص معدش فيه نفس و لا جهد و لا صحة و لا أعصاب ، إنت قتلتني بالحيا و انا و الله الذي لا إله إلا هو ماهسامحك أبدا و هختصمك عند ربنا ، و حقي هيجيني في الدنيا قبل الآخرة

لم يصدق نفسه و هو يراني أحمل حقيبتي و أفتح باب الشقة

- لو رجلك عدت الباب دا مش هترجعيله تاني أبدا

نظرت إليه و لأول مرة نظرة استهزاء و سخرية

- خليهولك يا حبيبي مخضر ، اشبع بيه ، آه و يَا ريت تبعت لي و رقتي في هدوء ، بدل ما ندخل في محاكم و خلع و كده ، خلاص خلصنا .

و أغلقت الباب خلفي بكل قوة

و كأن سجينا كان محكوما عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة و المحبوس حبساً انفرادياً في زنزانته العفنة الرطبة الشبيهة بالقبر ، و أخذ إفراجا نهائيا فجأة

و كأن محكوما عليه بالإعدام و عند لحظة وضع الحبل حول رقبته هناك من صرخ و قال قف إنه مظلوم

و كأن غريقا يصارع الأمواج و سقط في عمق المحيط بعد أن نفذ

الهـواء مـن رئتيـه ليجـد مـا يرفعـه بسرعـة إلي السـطح ليدخـل الهـواء بـكل قـوة إلي رئتيـه

في كل خطـوة كنـت أخطوهـا بعـد أن خرجـت ، أشـعر أن سلاسـلا غليظـة تتكـسر مـن حـول معصمـي و مـن حـول قدمـي ، كنـت أشـعر أنى أتنفـس هـواء ، و أشـتم رائحـة بخـور بيتنـا ، كنـت أشـعر أن الشـمس قـد وجهـت أشـعتها عـلي خصيصـا لتنـير لي الطريـق ، و أن اللـه قـد أنـزل المطـر في هـذه اللحظـة حتـي أغتسـل

لم أفكـر إلي أيـن أذهـب ، خرجـت مـن قبـل و كنـت لا أعلـم إلي أيـن أذهـب أيضـا

و لكني في هذه المرة كنت أعلم علم اليقين أني قد نجوت

إيماني بالله هو يقيني

و لن يخذلني الله أبدا

إيماني بالله أحياني

إيمـاني باللـه سـيعوضني ، فقـد كنـت في اختبـار بسـيط يرفـع بـه اللـه مـكاني في جنانـه

و أنا علي ثقة بأني قد نجت في الاختبار

30

البداية

نعم فأنا أعتبر أنها البداية ، بداية حياتي الجديدة ،

فعندي الآن بيتان أتنقل ما بينهما في سعادة بالغة

بيت ريفان التي أصبحت أرملة منذ عدة سنوات و رجعت من كندا لتستقر في بيتها الكبير بمصر وحدها و تركت أولادها بعد أن تزوجوا و استقلوا بحياتهم لتنعم بسنواتها الأخيرة تحت شمس مصر كما كانت تقول ،

و رحبت بي ترحيبا كبيرا بل رقصت فرحا لأني سوف أُؤنس وحدتها كما كانت تقول

و بيت صديقتي الصدوقة و التي تعيش بدبي و تركت لي إحدي شققها المفروشة و التي كانت بمثابة استثمار لها في غربتها و لكنها قالت

- فلوس إيه بس و إيجار إيه اللي تديهوني يا ايمان ، انتي صاحبتي و حبيبتي وَ يَا ريت يكون ربنا جعلني سببا لفرحك و سعادتك ، ضحكتك عندي متساويهاش فلوس الدنيا

أما دعاء و محمد فقد سعدا لسعادتي بل شجعاني

و سألتهما بكل حزم أن يظلا مع والدهما ، لأنهما سيسألان عن بره و أخشي عليهما من أن يغضبا الله لأي سبب كان

و إن كنّا اتفقنا أن يقضيا معي أسبوعا في بيت الصديقة ، و أسبوعا عند والدهما أقضيه أنا في بيت ريفان ،

إلي متي ؟ لا أعلم

و لكني الآن أنتظر

أنتظر مكافأة الله لي

أنتظر هذا الحب الذي كان يتوارى مني و الآن فتحت له بابي

نعم أعلم أني تخطيت الثامنة و الخمسين و لكن بقلبي شابة بالعشرين تريد الحياة ، تفتح ذراعيها للحياة ، و تستنشق عبيرها

أنتظر فارسا يخطفني لنعيش سويا أواخر عمرنا معا ، لا يريد أحدنا من الآخر سوى الدفء و الأمان فقط

كتف يحتويني و أضع عليه رأسي ، قبلة علي الجبين تمسح تعب عمري ، و ابتسامة صافية نبدأ بها يومنا ،

أماكن جديدة نزورها معا ، أريد أن أسافر ، أغوص في بحار و أعتلي جبال و ألهو كطفلة مازالت تخطو أولي خطواتها و تركت في فناء غناء واسع به كل الألعاب و الألوان و الفراشات تطير حولها

نعم

مازال بالعمر بقية ، أستطيع و سوف أجده

لأن الله

أخبرني

بمكافآته للصابرين

المؤمنين

النهاية

٢٠١٩-١٢-٢٠

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/manar.hegazi.7

https://instagram.com/manarhegazi70?igshid=1p4tpmmisdquo

https://www.facebook.com/AnaEntManarHegazy/